

جميل سلطان

دكتور في الآداب

وعضو المجمع اللغوي للدراسات السامية في باريس

# الموشح

إرث الاندلس الثمين

دراسة وشواهد

١٩٥٣

[REDACTED]

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عهدى بالموشح - وأدب الاندلس - قديم ، ولعله أقدم مما  
'يتخيل' ، فلقد كان ذلك من عهد الصبا المبكر ، يوم كانت العين تفتتح  
على حنان الآوة ، فترى المثل الطيب الصالح ، والنغم العذب الطروب ؛  
وتشهد الأكابر للفن الدقيق ، والاعتصام بالترفع العيوف ، وتقرأ النظم  
الرائق الجديد ، في إطار من روائع الوحي القديم .  
ثم كان من أمر التوجه الى الأدب ، ان تألق نور الاندلس كأبهر  
ما يسحر ، فشغل أديبها من الزمن ما شغل ، وأستنفد موشحها من  
الجهد ما استنفد ، حتى اذا وليت ادارة الاذاعة عام ١٩٥١ ، كان الموشح  
مما أيد وُنشِط ، واهله بمد ، اوفر عندنا من كل اذاعة .  
فان كان لتتبع الموشح في الأدب والفن من ثمر ، فهذه ثمرة عبقة ، ارفعها  
الى من يعجزني الوفاء بحقه ، توجيهاً وتعليماً ، وارشاداً وتقويماً ؛ الى من  
عرف رجال الفن من اطلاعه فوق مما عرفت ، وانفعوا بثروته الفنية  
اكثر مما انتفعت :

الى والدي

محمد سليم سلطان  
رحمه الله

ارفع حصاد من عمل باخلاص ، ودعائي بر ، واستشرف الى خير .

ج

دمشق ١٩٧٢/٧/١٩ و ١٩٥٣/٤/٣

# مواد الكتاب

- ٥ - فن التوشيح : طلائع التجديد في الشعر العربي . الموشح وحدوده الفنية ، الاقوال والآيات ١٣ . النام والأفرع ١٩ . الخرجة ٢٣ . استعارة الخرجة والآيات ٢٦ . الأسماء والأغصان والتوشح ٣٠ . أصل الموشح وتطوره ٣٤ .
- ٣٧ - أوزان الموشح : الأوزان العروضية . الموشح الشعري ٣٨ . الأوزان الإيقاعية والجديدة ٣٩ .
- ٤٢ - خصائص الموشح الفنية : اغراض الموشح ، أسلوبه الفني ومعنى .
- ٤٥ - تألق الموشح : نشأة الزجل . الشرق ياخذ عن الغرب ٤٧ . هل اضرم الموشح ٤٨ . تعلق الناس به ٥٠ .
- ٥٢ - السابقون الى التوشيح : محمد بن حمود ٥٣ ، مقدم بن معاني ، ابن عبد ربه ، ابن القزاز ٥٤ . الرمادي ، ابن ماء السماء ٥٥ . ابن سناء الملك ودار الطراز ٥٦ .
- ٦١ - عباقرة التوشيح : ابن عبد ربه ٦٣ . الرمادي ٦٥ . ابن ماء السماء ٦٦ . ابن القزاز ٦٧ . الحصري ٦٨ . ابن بتي ٧٠ . الأعمى التليطلي ٧٢ . ابن باجة ٧٤ . ابن زهر ٧٥ . ابن سناء الملك ٧٧ . ابن سهل ٧٨ . لسان الدين بن الخطيب ٧٩ . ابن زمرك ٨١ .
- ٨٣ - حول الموشحات : آراء علماء الشرق والمستشرقين : كرد علي فيلاسبا ٨٤ . شوقي ضيف ٨٧ . وآراء الهنداوي والحضي وابن بسام وديمونين واشباخ ٨٧-٩٠ . ٩١ - الخاتمة

# فن التوشيح

طرائع التمجيد

انطلقت عبقرية العرب الشاعرة في الأجواء الاندلسية انطلاقاً  
لم تكن لتعرفه من قبل في رحاب الشرق ، حينما كان يشغلها ما هي  
فيه من قيود الوزن ، والقافية ، ووحدة البيت ، وانسجام الفكر ،  
وتوازن المعاني ، ودقة الأداء في الكلام ؛

وتهباً لملك العبقرية في الأندلس من آفاق الغنى المستفيض  
والنعمة الهائلة ، واللذة الوافرة ، والطرب المثير ، ما لم يكده  
يعرفه المشرق على ذلك المقياس من الغزارة والاتساع .

فكان جديراً بتلك العبقرية أن تسجل صورة ذلك الزمن  
الرافه ، وتلك البيئة الطروب ، وأن تستجيب للتطور الذي ألفه  
الأدب العربي على الأيام .

وهكذا حاصت العبقرية الشاعرة في أجواء سمحة ، وطلعت  
على الناس بادب موشع ، حطم كثيراً من القيود في الشعر .

ولكن هذا التجديد لم يكن بدعاً في الفن، ولا مرتجلاً في  
الاسلوب، فقد ظهر في شعراء العربية المشاركة أيام بني العباس  
من كان ينزع إلى التجديد في الاسلوب، وبحث عن الحرية في  
النظم، رغم ما عرف به المشرق من أناة في التطور الادبي،  
وحفاظ على الطريقة الموروثة في القصيد، فكان أولئك النزاعون  
الى التجديد طلائع الانطلاق؛ ولو تهيأ لهم ما تهيأ للانداسيين  
من بُعدٍ عن تيار المحافظة، وانغمس في اللهو والهوى، وازدهار  
في الغناء والطرب، مع الطبيعة الساحرة، والثروة الوفيرة، لو تهيأ  
كل ذلك لأوصلتهم الخطأ إلى الموشع أو الى شيء يشبهه .  
وإذا عدت إلى تطور الأدب العربي وما رافقه من مظاهر فنية،  
القيت في طبيعة الأدب نزوعاً الى التجدد في الاسلوب والاعراض  
فمن تلك المظاهر الفنية المتجددة ثورة طائفة من الشعراء  
على المطالع الموروثة، من وقوف على الاطلال وبكاء للاحبة،  
ونزوعهم إلى معالجة الموضوع رأساً، أو التهيد له بما يناسبه من حكمة  
أو وصف أو غيره، مما عدت خطوة في تجديد المطالع، كقول أبي نواس

لا تبكِ هنداً ولا تطربِ الى دعدِ واشرب على الورد من حمرأة كالوردِ

وقوله : (العقد ٤/٣)

طاج الشقيُّ على رسم يسائه      وعُجبت أسأل عن خماره البلد  
يبكي على طلل الماضين من اسد      لا در درك قل لي من بنو أسد؟  
وَمَنْ تَمِيمٌ وَمَنْ قَيْسٌ وَلَقَّبَهَا      ليس الاطريب عند الله من احد  
لاجف دمع الذي يبكي على حجر      ولا صفا قلب من يصبو الى وتد

وقول ابي تمام :

السيف اصدق انباء من الكتب      في حده الحد بين الجد واللعب

وكان من مظاهر التجديد في الاسلوب تلك العناية الفائقة بأنواع المحسنات البديعية المختلفة ، لفظية ومعنوية ، وكثرة الاعتماد على الصور والاستعارات والكنائيات والتجسيم والتشخيص في اداء الافكار ، مما أشرنا اليه في كتابنا عن ابي تمام ،

وكان من مظاهر التجديد في الأغراض والاوزان ما نظم من الأقصيص والأمثال والحكم في مقطوعات او مزدوجات ؛ كل شطرين منها على قافية واحدة ؛ فقد ورد ان ابان بن عبد الحميد اللاحقي نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً ، ونظم ابو العتاهية قصيدته ذات الامثال في اربعة آلاف مثل ، كما ذكر صاحب الاغاني ، وفيها يقول :

حسبك مما تبغيه القوتُ      ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ  
هي المقاديرُ فلمني أو فذرهُ      ان كنتُ أخطأتُ فما اخطأ القدرُ  
ان الشبابُ والفراغُ والجدمةُ      مفسدةُ للمرءِ أيُّ مفسده  
إن الشبابُ حجةُ النصابي      روائحُ الجنةِ في الشبابِ

وخلد اديب الانداس الكبير ابن عبد ربه غزوات الخليفة  
عبد الرحمن الناصر ، وما أفاض على البلاد من أمن بعد حرب ،  
في منظومة مزدوجة حاكي فيها طريقة ابي العتاهية في ذات  
الأمثال ، فوصف الحياة الاجتماعية والحربية وما كان من أخلاق  
الناصر الكريمة ، وهمته الرفيعة ، وسخائه الغمر ، وحروبه  
المتواصلة ، واستيلائه على المدن ، وتدرج في ذكر كل ذلك بحسب  
السنوات التي ولي فيها مقاليد الحكم في الاندلس ؛ وهي مزدوجة  
طويلة تقع في أكثر من اربعمائة بيت فكان مما قال فيها :

( المقدم ٣ / ٢٠٩ - ٢٢٧ )

مؤيد حَكَم في عدايته      سيفاً يسيل الموت من ظلماته  
قد اشرقت بنوره البلاد      وانقطع التشبيب والفساد  
هذا على حين طمى النفاق      واستفحل النكاب والمراق  
وضاقت الارض على سكانها      واذكت الحرب لظى نيرانها

تأخذنا الصيحة كل يوم  
حق اتانا الغوث من ضياء  
هو الذي جمع شمل الامة  
فجمع الاجناد والحشودا  
حق تداعى القوم يوم السبت  
فاشرعت بينهم الرماحُ  
وفارقت أغمادها السيوفُ  
وختمها بقوله :

ثم نثى الامام عن عتانه  
وامن القفار من ايجاسها  
وقد شفى الشجي من اشجانه  
وطهر البلاد من ارجاسها

وكان من منازع الشعراء الى التجديد تلك المسمطات التي

تتضمن أحياناً ثلاثة اشطر على قافية واحدة ويكون الشطر الرابع

هو المتبوع في السِمَط الى منتهاه ، مثل قول بعض المحدثين .

وشية كالقَسَم  
داويتها بالكم  
غير سود اللِمْ  
زوراً وبهتاناً

وقالوا في تعريف المسمَط من الشعر : إنه ايات مشطورية

تجمعها قافية واحدة ؛ وقيل هو ما قُفِّي ارباع بيوته وسَمِط في

قافية مخالفة ، كما رأيت في المثال المتقدم ؛ وقال الليث : الشعر المسمَط :

الذي يكون في صدر البيت ابيات مشطورة او منهوكة مقفاة  
ويجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضي ، قال : وقال  
امرؤ القيس في قصيدتين سمطيتين على هذا المثال ، يسميان  
السمطين ، وصادر كل قصيدة مصراعان في بيت ، ثم سائر ذو سموط  
فقال في احدهما :

ومستلم كشتت بالرح ذيلك      ائت بمضب ذي سفاق مبداه  
فجعت به في ملتقى الخيل خيلك      تركت عناق الطير تحجل حواه  
كان على سر ياله نضح جريال

واورد ان برّي مسمّط امرى القيس :

توهت من هند معالم الطلال      عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي

\* \* \*

مرايح من هند خلّت ومصايف      يصبح بعناها صدى وعوازف  
وغيرها هوج الرياح العواصف      وكل مسف ثم آخر رادف  
بأسحم من نوء السماكين هطال

واورد ان برّي لا آخر :

خيال حاج لي شجنا      فبت مكابدا حزننا  
عميد القلب مرهنا      بذكر اللهو والطرب

\* \* \*

سبني ظبيةً عطلُ      كأن رضاها عسلُ  
ينوءُ بخصرها كفلُ      بنيل روادف الحاقب  
يجون وشاحها قلقاً \* \* \*      إذا ما ألبست شققا  
رقاق العصب أو سرقا      من الموشية القشيب  
يُجج المسك مفرقها \* \* \*      ويصي العقل منطقها  
ونمي ما يؤرقها      سقام العاشق الوصب<sup>(١)</sup>

وليس الدوبيت ( البيتان ) غير مظهر آخر من مظاهر

الانطلاق وذلك مثل قول ابن الفارض:

اهوى قرأ له المعاني رقُ      من صبح جبينه اضاء الشرق  
تدري بالله ما يقول البرق      ما بين ثاياه وبينى فرق

وقول الآخر :

ان جئت ربا الحمى ولاحت نجدُ      فاذا كره ولهي وما جناه البعدُ  
قد كنت اقا سي البعد حتى رحلوا      يا ليتهم طادوا وطاد الصدُ

فهذه وغيرها مما بسطنا عنه الكلام في « فنون الشعر »  
محاولات للافلات من القيود القديمة ؛ واذا كان بعض  
الفحول من الشعراء لا يرون في هذه المظاهر دليلاً على قوة

(١) انظر اسان العرب ٩ / ١٩٦ ، وكتابنا عن فنون الشعر

الشاعرية ، والتمكن من القريض ، فقد كان فريق آخر يرى ان التطور الفني يقتضي تجنب الشعر بعض قيوده القديمة التي يرزح تحت أثقالها ، وأنه لا بد من تطور فيه الدليل على الحياة ، لأن كل شيء لا يتطور فأنما مردؤه الى الهلاك ؛ وها هي ذي الحياة العباسية نفسها قد أخذت بالتطور والانطلاق في كثير من المفاهيم الاخلاقية والاجتماعية والمعاشية ، وإذا كان الشعر ، وهو صنو النثر ، وأحد فرعي الأدب ، اذا كان مرآة تمكس مشاهد الحضارة الجديدة ، فما أجدره بأن يسارق الزمن ، ويساير الركب ، فيتأثر بتألق الحياة الجديدة ومنازعتها في الحرية والمذاهب المختلفة .

ولكن الحياة في الشرق العربي تصطدم دائماً بالأثر الموروث الذي ينظر إليه أبناؤه كأنه عنصر من عناصر البقاء والخلود ، أضف الى ذلك ان البادية الرابضة على أبواب الحضارة الجديدة هي مهد العربية ، ومقلها الحصين ، يرتادها الفصحاء ، ويحج إليها العلماء ، وتهب منها نفحات البداوة العربية الخالصة ، فتشير في

قلوب المشاركة رسيس الحنين اليها ، وتؤثر فيهم نار الحفاظ على لغتها وطريقتها ، ولذلك كان من العسر والشدة أن يشق الشعر طريقه المتجددة في مثل هذه الرحاب ، ولكنه حينما غرب وحط رحاله في الاندلس بعيداً عن تلك الزواجر المحافظة ، قريباً من المؤثرات الاعجمية المختلفة ، كالعادات واللغة ، أخذ يرفل في مطارف التنيق والتهذيب ، ويحلق في آفاق جديدة ملهمة ، فكان ما رآه في الدنيا الجديدة مدعاة الى التحلل من كثير من القيود ، وإذا به يخرج على الناس في حلة جديدة من خالص نسج الاندلس هي حلة التوشيح التي لم يعرفها المشرق قبل المغرب ، وقد اعان على تكوينها نهضة جبارة في الغناء والالخان ، تهيأت للاندراس بفضل طبيعتها الجميلة ، وترفها المشرق ، ورحيل كبار المغنين والمغنيات اليها امثال زرياب والجواري فضل وعلم وقلم وقمر والمعجفاء ؛

### الموشح ومروده الفنية .

فنظم المغنون والشعراء الاندلسيون والمغاربة تلك الموشحات وجعلوها « اسماطاً اسماطاً ، واغصاناً اغصاناً ، كما يقول ابن خلدون ،

واكثرها منها ومن اعاريضها المختلفة ، وسموا المتعدد منها بيتاً واحداً ، والتزموا عند قوافي تلك الاغصان واوزانها متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان ، عددها بحسب الاغراض والمذاهب «  
(القدمة ص ٥٤١) وسموا هذا النوع الجديد باسم الموشح نحو :

جزء

(قفل) : أَدِرْ لَنَا كَوَابِ . يُنْسَى بِهَا الْوَجْدُ ، وَاسْتَحْضِرِ الْجِلَاسَ . كَمَا اقْتَضَى الْوَدُ

\* \* \*

جزء

دِينٍ بِالصَّبَا شَرَعَا	مَا عَشْتَا يَا صَاحِ
وَنَزَمَهُ السَّمْعَا	عَنْ مَنْطِقِ اللَّاحِ
فَالْحُكْمُ أَنْ تَسْمَى	عَلَيْكَ بِالرَّاحِ

بيت :

\* \* \*

(قفل) : انَامِلُ الْعَنَابِ . وَنُقْنَمُكَ الْوَرْدِ . حَفَّ بِصَدْعِي آسٌ . يَلُوبُهُمَا الْحَدُّ

\* \* \*

لِلَّهِ	أَيَّامُ	دَارَتْ بِهَا الْحُمْرُ
وَالرُّوْحُ	بِسَامُ	بَاكِرُهُ الْعَطْرُ
وَصَلَّ	وَالْمَامُ	زُهْرُهُ

يب :

فنعن بالاصحاب . قد ضمنا عقد . ويا ابا العباس . لا خانك الجد

خليفة منكا فينا ابو بكر  
ناب لنا عنكا في النهي والامر  
لا نتق ضنكا من نوب الدهر

وانتم ارباب . ما شيد الجد . وان بلونا الناس . فهم لكم ضد

حليت ( لنا ) الدنيا من بعد تعطيل  
وجاءنا يحيى بين البهاليل  
اغر بالعليا من فوق تحجيل

مختال في اثواب طرزها الحمد . وافراط الايناس فما له حد

بيننا انا شارب بينا انا شارب  
وبين آنا تايب ولكن على حرف (١)  
اذ قال لي صاحب من حلبة الظرف

ندعنا قد تاب . غن له واشد . واعرض عليه الكاس . عساه يرتد

( دار الطراز ٤٧-٤٨ )

---

(١) أي توبة غير ثابتة ولا متينة واقرب الى الارتداد ، واحسب في الكلام اشارة الى آية من القرآن الكريم : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمان به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . (الحج ١١)

فالأشطر الأربعة الأولى التي بدأ بها الموشح تسمى (قفلاً) وقد تألف القفل هنا كما ترى من أربعة (أجزاء) انتهى كل (جزء) بروي خاص (أكواب . الوجد . الجلاس . الود) واذن فالموشح هنا مبدوء بقفل مؤلف من أربعة أجزاء ، وإذا عدت تنظر في الموشح رأيت بعيداً عنه قفلاً آخر وهو (انامل العناب . ونالك الورد . حف بصدغي آس . يلويها الحد) وقد التزم في هذا القفل ما التزم في القفل الأول من الروي ، ومن عدد الأجزاء ، ومن الوزن .

وهكذا تجد القفل الثالث :

(فنحن بالاصحاب . قد ضمتنا عقد . ويا ابا العباس . لا خانك الجد) فقد التزم فيه ما التزم في الأول من الروي ، وعدد الأجزاء ، والوزن ؛ واذن فالقفل يبقى المثال الذي يجب أن يعتمد عليه في الموشح بالمحافظة على عدد اجزائه ورويه ووزنه .

وإذا نظرت بين القفل الأول والقفل الثاني وجدت ستة اشطر يسمى مجموعها (بيتاً) ولكنه في الواقع ، وبالنسبة لما تعرفه من علم العروض ، مؤلف من عدة آيات وإنما

المصطلح عليه في الموشحات ، ان نسمي ما بين القفلين ( بيناً )  
ولو كان مؤلفاً من عدة اشطر .

فاذا نظرت في البيت وجدته مؤلفاً من ثلاثة اجزاء :

الجزء الاول منه هو : دن بالصبا شرعا ما عشت يا صاح

والجزء الثاني منه هو : ونزه السما عن منطق اللاحى

والجزء الثالث منه هو : فالحكم ان تسمى عليك بالراح

فاذا اخذت الجزء الاول منه وجدت له نوعين من الروي :

في الفقرة الاولى ( شرعا ) وفي الفقرة الثانية ( صاح ) وقد

التزمها الوشاح ، فهذه اذن اصول البيت : وهي ان يتألف من

اجزاء وفقرات ويكون عدد مايجيء به الوشاح ووزنه ملتزماً في

بقية الابيات ، اما الروي فلولوشاح الخيار والحرية في التزامه

وعدمه ، والافضل ان يكون الروي مختلفاً في الابيات ، وها هو ذا

الوشاح يقول في البيت الثاني ( بين القفلين الثاني والثالث )

لله	ايام	دارت بها الحمر
والروض	بسام	باكره القطر
وصل	والمام	واوجه زهر

فانت ترى انه لم يلتزم الروي الذي التزمه في البيت الاول  
ولكنه التزم الوزن وعدد الاجزاء .

ونستنتج بمدئذ ان روي أعاريض الاقفال وضروبها وعدد  
اجزائها واوزانها واجبة الالتزام في الموشح ، وهي الاصل الملتزم  
والاساس الذي يحتفظ به ، بينما لا يلتزم في الايات غير عدد الاجزاء  
( بما فيها الفقرات ) والاوزان ، واذا ذكرت ان القفل في الموشح  
المتقدم مؤلف من اربعة اجزاء ، فاذا كر الى جانب ذلك ان  
القفل في صنعة الموشحات لا يكون اقل من جزأين كقول بعضهم:

شمس قارنت بدرأ راح ونديم

والموشاح ان يبني قفله على اجزاء متعددة قد تبلغ الثمانية ، وربما  
بلغت الاجزاء التسعة او العشرة ، ولكن ذلك قليل نادر ، وعلى كل  
حال فاذا كان القفل الاول مؤلفاً من عددٍ من الاجزاء معين  
وجب ان تكون افعال الموشح كلها مؤلفة من العدد نفسه ،  
ويندر في بعض الموشحات الشاذة التي لا يعول عليها ان تكون  
أفعالها مختلفة اعداد الاجزاء ، كأن يأتي القفل الاول مؤلفاً من  
جزأين وبقية الاقفال من ثلاثة .

وجرت العادة ان يبدأ الموشح بقفل ثم ينتهي بقفل وأن  
يتردد القفل في الموشح ست مرات وعندئذ يسمى الموشح  
( تاماً ) فاذا لم يبدأ الموشح بالقفل وإنما ابتداءً بالبیت سمي  
الموشح ( أفرع ) وعلى هذا فالقفل اذن يتردد خمس مرات في  
الموشح الأفرع وست مرات في الموشح التام .

فلننظر في موشح أفرع ( لابن مناة الملك ٩٦ ) مبدوء

بالبیت ، ولنكتف بقسم منه :

دانت لي الدنيا	وواصل الوصلا
من هو لي محبا	وصار لي خلا
لا اسمم النهبيا	فيه ولا العذلا
ما اعطر اللقيا	له وما احلى

تملك الخلس . من النفَس . او اللبس . لقد كمل . بدر طرق  
مثل الفلق . تحت العسق . حتى سرق . الباب . اهل الصواب

ما صال حق صاد	بطرفه الوسنان
وصير الآساد	فرايس الغزلات
واخلف الميعاد	واخجل السلوان
جبينه الوقاد	إن شيت والفتان

فيه قبس تحت العلس . وقد حرس . ورد الخجل . نيل رشق  
حتى ابق . قلبي فرق . فللمحدق . نشاب . بها نصاب

هذا الموشح كما ترى ( اقرع ) لانه مبدوء بالببيت لا بالقفل ،  
وكل قفل فيه مؤلف من عشرة اجزاء ملتزمة الروي والوزن  
مع التزام العدد .

اما ابياته فرددت في أصل الموشح خمس مرات ، وكل بيت  
منها مؤلف من اربعة اجزاء ، وكل جزء مؤلف من شطرين  
او فقرتين .

والفقرة في الاصل اما أن تتألف من القافية او الروي في كلمة  
واحدة واما ان تضم اليها بعض الكلام القليل المنظوم قبلها ، فمن  
ذلك قول ابن سناء الملك ( ١٠٥ ) في البيت المؤلف من ثلاث  
فقر وثلاثة اجزاء ( والبيتان بين ثلاثة أقفال ) :

( قفل ) صلني . ياجنة الحلد . ياقتنة الناس . يادعوة المظلوم  
حسبك . قد اشتفيت مني . ولا اقول حسبي  
قربك . يا غاية التمني . ومنية المحب  
قلبك . ضن ولم يعدني . ولا رنى لقلبي  
عدني . قدمت بالوعد . لان وسواسي . يقول بالمعدوم  
عقلي . سببته بناظر . يحيي كما يميت  
شلي . شنه بعاطر . من ثمرك الشثيت  
قل لي . ان كنت غيرذا كر . عهدي وقد نسيت

إني . . . باقٍ على العهد . لكنني ناصِر . لسرنا المكتوم  
وأعلم بمد هذا ان البيت يؤلف على الأغلب من ثلاثة  
أجزاء ، ويمكن أن يؤلف من جزأين ، ويندر أن يكون من  
ثلاثة أجزاء ونصف ؛ وقد رأيت ان الأجزاء التي تؤلف البيت  
تتألف من فقرات ، فقد يكون جزء البيت مركباً من فقرتين  
او ثلاث او اربع فقرات ، وقد يكون الجزء مفرداً غير مؤلف  
من الفقرات .

وهاك موشحاً أقرع ، بدأه الوشاح ببيت مؤلف من ثلاثة  
أجزاء وكل جزء فيه اربع فقرات ، ومن النظر في الفقرات  
الآتية يتبين لك ان الفقرة تكون القافية وحدها حيناً ، وتضم  
اليها بعض الكلام المنظوم المرزون حيناً آخر ؛ يقول الوشاح :

( هو 'عبادة القزاز' كما ذكر ابن خلدون في المقدمة ٥٤٢ ، ويصحح ابن بسام  
النسبة الى محمد بن 'عبادة المعروف بابن القزاز كما في الذخيرة ٢٩٩/٢ ولا ينسبه  
ان سناء الملك لاحد . شأنه في اللوشحات التي نقلها عن غيره في كتابه دار الطراز  
ص ٦٥ ) .

باني . . . ظبي حمي . . . تكلفه . . . اسد غيل ( جزء فيه ٤ فقرات )  
مذهبي . . . رشف كمي . . . قرقه . . . سلسبيل  
يستي . . . قلبي بما . . . يعطئه . . . اذ عيل

ذو اعتدال . يعزى الى . ذي نعمة ثابت  
في ظلال . تحت حلى . نظر الندى باث } قفل

ذو فتور . ذو غنج . ذو مرشف . العسر .  
العبير . في ارج . والحسن في . ملابس .  
كم يشير . وجد شج . بالدنف . مكنس .  
ذو اعتدال . لو عللا . انطق عن ساكت .  
وغزال . لو مقللا . ألحظ عن باهت .

واعلم بعد هذا أن البيت اذا كان يتألف من فقرات ، فان  
القفل لا يتركب منها أبداً ، وانما يتركب من اجزاء ، والجزء  
من القفل لا يكون إلا مفرداً ، بمعنى انه وحدة مستقلة ؛  
واذن فالوقوفات تنبئ تألف الاجزاء فقط ، واما البيات  
فنبيه تألف الاجزاء المولفة من فقرات متعددة او مفردة غير  
مركبة ، والالتزام يقع في الوقفات على الوزن والقوافي وعدد  
الاجزاء ، ويقع في البيات على الوزن وعدد الاجزاء ، ويحسن  
التنويح في القوافي .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان بعض الوشاحين الماهرين  
كانوا يخالفون القاعدة الاصلية حينما في وجوب التزام الوزن

الواحد ، في الاقفال والبيوت ، ولا يقدم على هذا إلا البارع  
في صناعة الموشحات ، العارف بايقاع الألحان ، فمن ذلك  
قول ابن سناء الملك :

غزال فر من جنات عدن } بيت  
وولتي آخذاً للمقل مني }  
وابدى بدر تمّ فوق غصن  
فقل للبدر بدر الأفق عني  
( قفل ) ان بدري غائب  
فكن لطرفي نائب  
شقيت به وقيل لي السعيد  
واغواني ووالدي الرشيد  
امير من معاليه الجنود  
وقاض من شمائله الشهود  
وكريم كاتب  
لقد علا اهل المراتب

على ان هذا الخروج عن التزام وحدة لوزن في الاقفال  
والأبيات قليل نادر .

وبعد فاذا نظرت إلى أي موشح كامل وجدته ينتهي  
( بقفل ) ، وهذا القفل الأخير من الموشح يسمى ( فرجه ) .  
ويشترط الأولون ان تكون هذه الخرجة حلوة عذبة ،  
تخلب الألباب وتمز النفوس ، ينتقل اليها الشاعر عن طريق  
( قال ) او ( قلت ) او ( غنى ) او ( غنيت ) على لسان  
الطير او الحب او السكران او غير ذلك .



وإذن فإن كان الغرض من المرشح مديحاً أو كلام جسد ،  
فلا بد من مراعاة القواعد النحوية والصرفية في الخرجة ، وان  
كان الغرض لهواً أو مجوناً أو تندراً فلا بد من أن يجول الشاعر  
بجال المجان من الشعراء الذين لا يباليون أن يتعرضوا إلى  
الدعارة والفسوق في أقوالهم وأن يخرجوا على القواعد النحوية  
المألوفة أو الكلمات الصحيحة ، ومن أجل هذا كثرت ألفاظ  
العامة وسخفهم وطريقتهم غير المعربة في كثير من الموشحات  
وفي الخرجات خاصة ، وإذا كان ابن سناء الملك قد ذهب  
إلى أن تلك الطريقة أصل في الموشح وأنه لا بد من سلوك  
ذلك المسلك من اللحن والتحلل من القيود فان الأبيهي  
( ٧٩٠ - ٨٥٢ هـ ) قد أنكر اللحن على الوشاحين ورأى ان  
الموشح والعروض والدوبيت يجب أن تكون معربة أبداً ولا

يغتفر فيها اللحن ( المنتظر ٢/ ٢٧٧ )

فما ورد من المرجات العامة قول ابن بقي : ( ٣٢ و ٧١ دار )

انا وانتا اسوة هذا الهجر

بالصبر بنتنا مع انصراع الفجر

ومذ رحلنا      غنى الجوى في صدري  
سافر حبيبي      سَحَرٌ وما ودعتو  
يا وحش قاي      في الليل إذا انكرتو

وكان المتقدمون ينصحون بأن ينظم الشاعر الخرجة قبل نظم الموشح ، لتكون الخاتمة مهيأة بما فيها من طرافة أو مسخف أو مجون أو تصريح بما لا يُرضى من القول ، فاذا لم يتهيأ له شيء من المعاني الصريحة أو المجون الظاهر في خرجة مناسبة فلا بأس بأن يستعير من شعر غيره ما يعجب أو يطرب ، فيتخذه خرجة لموشحه من قبيل الاستعارة والتضمين ، وهذه الطريقة عندهم أصوب وأفضل ممن يجدّ ويعرب ، فلا يخف ولا يطرب ، وإذا لم يجد ما يناسبه في العربية المألوفة ، فلا لوم عليه ان يستعير ذلك من الأعجمية أو العامية ، كل ذلك جرياً وراء المعنى السوقي ، واللفظ الصريح ، والفكرة الغريبة ، أو الأدب المكشوف ، ومراعاة الذوق الذي فسد بتحكم اللحن فيه ونبوته عن الفصحي ، وقد دلنا أديب الأندلس الكبير ابن شهيد الذي عاش في القرن الخامس على مبلغ ما وصل إليه انتشار

الاحن حين قال عن عصره إنه « ليس لسيدويه فيه عمل  
ولا للفراهيدي إليه طريق » ( رسالة التوابع والزواج في الذخيرة ٢٢٩/١ )  
فمن الخرجات الجيدة المستعارة ما تراه في آخر هذا الموشح  
الذي يتركب قفله من جزأين وبيته من ثلاث فقرات .

شمس قارنت بدرا راح ونديم  
أدراكوس الحمري عنبرية النشر ابن الروض ذوبشر  
وقد درع النهر هبوب النسيم  
وسلت على الأفق يدُ الغرب والشرق سيوفاً من البرق  
وقد أضحك الزهرا بكاء الغيوم  
ألا إن لي مولى تحكّم فاستولى أما إنه لولا  
دموع تفضح السرّاً لكنت كتوم  
أنى لي كمان ودممي طوفان شبت فيه نيران  
فمن أبصر الجرا في الح يوم  
إذا لامني فيه من رأي تجنيه شدوت أغنيه  
( لعل له عذرا وأنت تلوم )

فهذا الموشح يتضمن ستة أقفال ويبتدي بواحد منها وفيه  
خمسة أبيات فهو موشح تام وفي آخر البيت الخامس سبيل  
التوصل إلى الخرجة وهو قوله ( شدوت أغنيه ) وهذه الخرجة

التي انتهى بها مستعمارة من الشعر القديم يتمثل بها في أما كن  
الاعتذار عن اللوم : لعل له عذراً وأنت تلوم :  
ولابن الوكيل موشح أخذ له اعجاز قصيدة ابن زيدون  
المشهوره وجعلها خرجات فقال :

يا صاحب النجوى      قف واسمع مني  
إياك أن تهوى      إن الهوى يضي  
لا تقرب البلى      اسمع وقل عني  
بحاره مرة      خضنا على غرة  
حيناً فقام بنا للنعمي ناعينا

من هـام بالغيدي      لاقى مر. ها  
بذات مجهودي      لأحور. ألمى  
مر. بالجود      ورد ما همأ  
وعندما قد جاد      بالوصل او قد كاد  
أضحى التناهي بدلاً من تدانينا

( نصح الطيب طبعة الرفاعي ٢٣٤/٥ )

وكان ابن المعتز قال في قصيدة له :  
علموني كيف أسلو وإلا فاحجبوا عن مقلقي الملاحا  
فجاء ابن بقي وهو أحد الوشاحين المشهورين ، وجعل البيت  
خرجة فقال في آخر موشحة له :

لست اشكو غير هجر موصل  
مذ منعت القلب عن عدل عاذل  
وتغيت لهم قول قائل

علموني كيف اسلرو وإلا فاحجبوا عن مقلتي الملاحا

وامتارة الأبيات من الشعر الموشح لا يقف عند القفل

الآخر، فرمما عمد الموشح إلى أخذ بعض الألفاظ من الشعر  
القديم ليجمعها في بيت من أبيات موشحه، وهذا ككهاجم  
يقول :

يقولون تب والكأس في كف اغيد      وصوت المثاني والمثالك طال  
فقلت لهم لو كنت اضمرت توبة      وابصرت هذا كله لبدالي

فقال ابن رقي، وحلّ في موشحته هذين البيتين وجمعا

الامتارة ضمن الموشح :

قالوا ولم يقولوا صواباً

افنيت في المجون الشبابا

فقلت لو نويت متابا

والكأس في يمن غزالي      والصوت في المثالك طالي لبدالي

## الاسماء والافعال والتوسم

وإذا عدت بعد هذا تنظر في تركيب الموشح وترتيبه ،  
وكيف يبدأ بالقفل ، ويعقبه البيت ، ثم يتداول النظم ما بين  
أمر أساسية ملتزمة ، وفروع يلتزم فيها شيء ، ويطلق شيء  
آخر ، إذا نظرت في ذلك تبينت السبب في تسمية بعضهم  
القفل ( باللازمة ) لما يلتزم فيه من الروي والوزن والعدد في  
جميع الأفعال ، وتسمية البيت ( بالدور ) لأنه يدور فيأتي غيره  
مكانه مما هو غير ملتزم الروي في الصدر والمجز ، كما أنك تستبين  
ما عنده ابن خلدون في مقدمته حين قال عن الموشح : « ينظمونه  
اسماطاً اسماطاً ، وأغصاناً أغصاناً ، يكثرون منها ومن أعاريضها  
المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ، ويلتزمون عند قوافي  
تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة ، وأكثر  
ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها  
بحسب الأغراض والمذاهب . ويظهر لك من كلام ابن خلدون  
أن في الموشح أيضاً نوعين من التسمية هما الاسماط والأغصان ،

ويريد بهما الاقفال والآيات بدليل قوله « إنهم يكثرون منها ( أي من الأغصان ) ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً » ، وقد رأينا كيف تتعدد الأَشْطَر وتؤلف البيت ، ويظهر من قوله أيضاً أن الأغصان هي الأجزاء التي تؤلف البيت ، بدليل قوله « ويشتمل كل بيت على أغصان » .  
فالاسماء إذن هي الأقفال ، والأغصان هي أجزاء الآيات ،

وهو ما نرجحه ، وان كان بعضهم يرى ان السمط هو القفل والبيت معاً ، وينفي هذا الرأي ما ينشأ عنه من نتيجة . ذلك اننا إذا سلمنا بان السمط هو القفل والبيت الذي يليه معاً ، فأن يكون الغصن ؟ ومنشأ هذا التردد ، ان الذين تحدثوا عن الموشحات من القدامى ، لم يحددوا الاسماء والأغصان بأكثر مما حدده ابن خلدون ، حتى أن ابن سناء الملك وهو من أوسع من تحدثوا عن صنعة النوشبح لم يحدد الاسماء والأغصان .  
ومن الغريب أن يذهب بعض المؤلفين الأجلاء الى تسمية مقلوبة فيري ان القفل الأول هو الغصن ، وان البيت الذي

يليه هو السمط ، وان القفل الثاني هو القفل ، وان مجمرع هذين  
الاثنين ( السمط والقفل ) هو البيت ، ولعل هذا راجع الي  
عدم تبين عبارة ابن خلدون في بعض أماكنها الغامضة .

والناظر في أمثلة ابن سناء الملك العملية التطبيقية يرى وجه  
الصواب الذي بسطناه ، ويجلو الغامض من عبارة سواه .

وأصل التسمية في الأسماط ترجع الي المعنى اللغوي في  
السمِط ، فهو القلادة او الخيط فيه لآلىء واحجار كريمة  
أو خرز ثمين ، وقد شبهوا به القفل إذ كان كالقلادة في الموشح  
وشبهوا الأبيات بالأغصان ، إذ كانت متشعبة متفرعة ؛

وأما أصل تسمية هذا الضرب من الشعر باسم الموشح ، فلا شك  
في أنه يعود إلى طريقة نظمه وترتيبه ، وتفنن الناظم في نظمه ،  
ومخالفته بين الأقوال والأبيات ، جمالاً وطرافة ، فقد أوحى  
هذه الأمور كلها ان تستعار كلمة التوشيح من اللغة ، إلى هذا  
النوع من الشعر ، فأخذت الكلمة من توشيح الثوب إذا طرز

ووشي ، ووضعت له الحجارة الكريمة ، والوشاح : أديمٌ عريض  
النسيج ، يرصع بالجواهر والآتي ، في نظمين متخالفين مـطوف  
أحدهما على الآخر ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، والتوشح  
بالثوب هو أن يدخل الرجل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه  
على منكبه الأيسر ، كما يفعل المحرم في الحج ، ثم يعقد طرفيهما  
على صدره .

وعرف عن الموشحة من الظباء والشاء والطيـر أنها ذوات  
الطرفين من جانبيها ، والوشحاء من المـز السوداء الموشحة ببياض ،  
والديك الموشح هو الذي له خطتان كالوشاح .

ولمؤلف ابن سناء الملك كتابه ( دار الطراز ) في عمل الموشحات ،  
لاحظ معنى النسيج الموشح في اسم الكتاب ، فإن أصل دار الطراز :  
المصنع الذي تصنع فيه الثياب الحريرية الموشاة التي كانت تعمل  
للأمراء والسلاطين ، كما سيأتي الكلام على ذلك فيما بعد .

### أصل الموشح وتطوره

ولك أن تتساءل بمدى ، عن هذا المنزع في الحرية الشعرية وكيف خرج به أهلوه إلى الكلام المماحون واللفظ الأعجمي الردي ، وما كان للشعر الذي أحب أن ينطلق من القيود القديمة ، أن يسف إلى هذا الموضع ، فيتبدل بالفصاحة عجمة ، وبالجد هزلاً ، وبالجمود رداءة وإسفافاً .

وإذا كان اللحن قد شاع في ربوع الأندلس أيام الموشحات فما هو فيما أحسب أكثر ذبوعاً مما ترى في عصرنا الحاضر ، ومع ذلك فالناس اليوم لا يرتضون من الشعراء مثل ما كان يرتضي الأندلسيون .

وأحسب أن سر ذلك الإسفاف ، كثرة الاختلاط بالاعاجم من أهل جزيرة الأندلس ، فقد كثر التزاوج بين الجنسين : العربي والأسباني ، واستسلم الفاتح لعادات المغلوب ، وكثرت أنواع الملاهي التي أغرق فيها الشعب العربي ، والجيل المزيج ، واتصلت الأفكار بين العرب وغيرهم ، وكان أدب الأسبان

في ذلك العهد لا تذبذباً يرعاه الخواص ، وكان للأسبان عامية نشأت عن الأصل اللاتيني ، كما نشأت لغات عامية ثانية في بلاد الأفرانسين والاطليان وغيرهم ، وكان للعامية الاسبانية شعراء يتفنون بأشعارهم التي ينقصها السكال في الأوزان والقوافي ؛ وهنا يرى فريق من الباحثين ان تلك الاغاني الشعبية الاسبانية التي كانت على مسمع ومرأى من العرب ، هي التي دعت الفاتحين الى أن يقلدوا في التحرر من القوافي والأوزان ، وان يميلوا إلى الألفاظ الأعجمية الشائعة ، وساعدتهم على ذلك ما وجدوا في الشرق من محاولة الانطلاق من القيود الشعرية الموروثة ، ويستدل الذين يقولون بتأثير الاغاني الشعبية الاسبانية على الشعر في نشأة هذا الفن ان أوزان الموشحات لا تنطبق على أوزان الشعر المعروفة ، وانها تعتمد على صنعة الغناء أول ما تعتمد .

وإذا كانت الألفاني الشعبية الاسبانية غير موجودة الآن لتصح المقارنة بينها وبين الموشحات ، فهناك مقطوعات شعراء التروبادور الذين كانوا في جنوب فرانس في القرن العاشر

والحادي عشر ، فقد كانوا يتفننون بها ويتغزلون ويمدحون ويصفون ، إلا أنها كانت هزيلة المعاني لا تلزم القوافي الواحدة ، بل أنها لتتغير بعد كل ثلاثة أجزاء أو ستة ، مع محافظتها على الوزن الذي ترد فيه أولاً .

وقد عاشت هذه الأناشيد في القرن الثاني عشر ، وهو العصر الذي عاشت فيه الموشحات ، ولذلك يغلب على ظن ذلك الفريق ان تكون أناشيد التروبادور موشرة في نشأة الموشحات ، أو على الأقل عاملة على تأييد بعض خصائص التواشيح ، من عامية وانطلاق ، فان ما عرفه الأندلسيون العرب من ذلك الغناء مع ما عرفوا من بدء انطلاق الشعر ، حمل فريقاً منهم على ابتكار الفن الجديد ، فبدأوا أولاً بتقليد الشرق في الانطلاق ثم نظموا للغناء أيام ازدهاره ، ما جمع بين خواص الشعر والاغاني فكان فن الموشحات .

# أوزان الموشح

يلاحظ قاريء الموشحات أمراً مهماً في أوزانها ، إذ يراها خارجة على الأوزان المعروفة في كثير من الأحيان ، والواقع أن الموشحات على ضربين : الأول منها ما جاء على أوزان العرب ، والثاني ما لا وزن له فيها ، ولا المام له بها . فاما الضرب الأول ، وهو ما جاء على أوزان الشعر القديم فقسمان : قسم بقيت أفعاله وأبيانه موافقة لأوزان الشعر القديم فلم ترد فيها كلمة تخرجها عن تلك الأوزان ، فكان الشاعر لم يتحرر من الأوزان القديمة ، ولا استفاد من الرخص الجديدة ، ولذلك ترى بعض العلماء لا يعدون هذا شيئاً في فن الموشح ، ولا ينظرون إليه نظرة الاعتبار والتجويد ، وربما عدوه من قبيل الخمسات ، وقد يحملون ذلك الموشح محل الاعتبار ولو كان طبق الوزن القديم إذا كانت أفعاله وأبيانه مختلفة القوافي ، فانه يخرج عن الخمسات ويعتبر موشحاً أصيلاً كالموشح المشهور : م (٣)

إها الساقى اليك المشكى قد دعوناك وان لم تسمع

نديم همت في غرته

وشرب الراح من راحته

كما استيقظ من سكرته

جذب الزق اليه واتكا وسقاني اربعا في اربع

وبسمون أشباه هذا الموشح بالموشح السعري اذ ينطبق كل

الانطباق على بحر ( الرمل ) ، أحد البحور القريضية المعروفة

ولا يخرجها عن هذا البحر حركة ولا كلمة .

وأما القسم الثاني فهو ما التزمت فيه الأوزان القريبة ولكن

تخلت كلمة أو هركة أفرجة عن أن يكون طبق تلك الأوزان

كقول الشاح :

صبرت والصبر شيمة العاني ولم اقل المعطيل هجراني معذبي كفاني

فهذا من ( المنسرح ) لولا قوله : ( معذبي كفاني ) فانها

أخرجتنا الموشح عن المنسرح ، ويسمى أشباه هذا الموشح بالموشح

السعري الذي أفرجة كلمة عن أصل ؛ ومثله :

ياوح صب إلى البرق (ي) له نظا وفي البكاء مع الورق (ي) له وطرا

فهذا من ( البسيط ) ، ولكن التزمت في الوسط قافية متحركة

بالكسر ، ونكلف الوشاح لها الى آخر الموشح .

ولو عدت نقرأ البيت مع مد حركة الكسر ( آخر القاف )

وأشباعها حتى تصبح ياءً لوجدت ان البيت لم يخرج عن

البسيط فهو موشح شعري أفرجه بخرقة من أحد .

هذان هما القسمان من الموشحات الشعرية التي تنطبق على

الأوزان القديمة ، ونلاحظ في هذا المقام أن الوشاحين كانوا

يعتمدون في الموشحات الشعرية على الأبحر الخفيفة أو القليلة

الاستعمال كالرمل والمنسرح والمضارع والمقتضب والمجث .

وهناك ضرب ثانٍ للموشحات وهو ما لا وزن له من

أوزان الشعر القديم ولا المام له بها ، وهو الأكثر عدداً في

الموشحات ، البعيد حصراً في الأوزان .

وهذا الضرب لا يعرف إلا بالتلحين ، ولا يعلم صحيفه من

مكسوره إلا في الغناء به على الأرنغ ، وهو الأصل ، أو على

غير الأرنغ ، وهو مستعار .

وكان ابن سناء الملك قد حاول أن يضع لهذه الموشحات المنحرفة من الأوزان القديمة ضوابط وأوزاناً خاصة ، فاعجزه ذلك ، وجاء أخيراً المستشرق الألماني ( هارتمان ) فحاول ارجاع تلك الأوزان إلى ستة وأربعين ومائة وزن او بحر ، مشتق من البحور أو الأوزان العربية المعروفة من قبل ، ولكن ذلك كان من قبيل التكلف أولاً ، ثم انه لم يستطع أن يمحصر كل الموشحات المعروفة ضمن نطاق من الأوزان المقررة ، إذ بقي كثير من الموشحات لا تخضع للأوزان التي أوجدها ، والسبب في ذلك كونها في الأصل متعلقة بالتلحين والغناء كما مر ، فتجد الأبيات في بعض الأحيان على أوزان الاقفال ومن أبحرها ، وتجد في بعض الأحيان الأخرى تبايناً بين أوزان الاقفال وأوزان الابيات ، بسبب ما تقتضيه صناعة الغناء والالخان مما كان يعرف في أيام ازدهار النواشيع ، فصنعة الغناء إذن هي الميزان الذي توزن به الموشحات المضطربة الأوزان المختلفة الالخان ، وكان اللحن الموسيقي وحده هو الذي يعدل من اضطراب الموشح ، كما كان

الذوق الفني وحده هو الذي يميز بين الصحيح والسقيم ، ومن هنا تبين ان من العمل الذي لا يجدي ان نستقصي الاوزان ونحصرها في هذا الفن ، وان نحاول اقامة اوزان مقررة للنظم في الموشحات ؛ هذا ولا بد من الاشارة هنا الى انتفاع فريق من الوشاحين من بعض الاوزان المستحدثة والمشتقة من الاوزان القديمة ، ولندكر هنا المحاولات في ايجاد اوزان جديدة كالمستطيل المأخوذ من الطويل والذي وزنه ( مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن ) مرتين ، وكالممد ( فاعلن فاعلان فاعلن فاعلان ) مرتين ، وهو عكس المديد ، وكالمثد ووزنه ( فاعلان مستفعلان ) مرتين ، وكالمسرد ووزنه ( مفاعيلن مفاعيلن فاعلان ) مرتين ، وكالمطرده ووزنه ( فاعلان مفاعيلن مفاعيلن ) مرتين .

فكان من هذه الابحر الجديدة مع الابحر القديمة المهمة أو المستعملة ، ثروة عروضية للموشح فضلاً عما كان يعتمد عليه في صنعة الغناء من وزن ايقاعي .

# خصائص الموشح الفنية

## أغراض الموشح

تناول الموشح جميع أغراض الشعر من غزل ووصف ومدح ورتاء ، وهجاء ، ومجون ، وزهد ، وسمي ما كان للزهد خاصة باسم ( المكمّر ) ، وجرت العادة في هذا النوع من الموشحات ألا يعمل إلا « على وزن موشح معروف ، وعلى قوافي أفعاله ، وإن يختم بخرجة ذلك الموشح ليبدل على أنه مكفّره ومستقبل ربه عن شاعره ومستغفره » كما يقول ابن مناة المملك ص ٢٨ . وشاع نظم الموشح في الفنون والأغراض المختلفة وتجاوز فيه الوشاحون الغاية من اللطف « فاستظرفه الناس - كما قال ابن خلدون ص ٥٤٢ - جملةً ، الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقته » .

على أن هذه السهولة قد خرجت بالموشحات عن النظم المتين الرصين ، واللغة الجزلة القوية ، مما عرف به الشعر العربي

أيام ازدهاره ، وأخذت اللغة الأدبية في الموشحات ترتدي طابع اللين والرقّة حتى بلغت في بعضها مبلغ الركاكة والهلالة ، بل مبلغ الاعتماد على العامية الهزيلة واللحن المغنفر المطلوب ، وتلك غاية لا تحمد ، وإن كانت الغاية من الموشحات قبل كل شيء استجلاء الطرب ، وإمتاع القلوب .

وشحنت الموشحات بأنواع الخيال المرح ، فكثرت الاستعارات والمجازات والنشايه والكنيات والمحسنات اللفظية والمعنوية كالتورية والجناس وغيرها .

وغنيت الموشحات بالألفاظ الموسيقية العذبة التي تسحر بعبانها ، أكثر مما تؤثر بمعناها ، والتي تطرب بركتها ، أكثر مما تعجب بصحتها ، فقد كان الالفاظ المطرب هو المقصود ، وإذا توالت الجمل على تراخٍ في المعاني وعدم ترابط بين أجزائها فان ذلك لم يكن عيباً ما دامت فكرة التغني هي السائدة ، وما دام الإيقاع الحسن هو المطلوب ، ولذلك تقف عند بعض الموشحات وقفة من لا يجد بين المعاني وشائج وثيقة

تربط بعضها إلى بعض ربطاً محكمًا ، لان التسلسل المنطقي في  
العبارات ، والتتابع الفكري في المعاني ، لا يقصدان بمقدار ما يقصد  
حسن توالي الكلمات ، وجمال جرسها الموسيقي ، وعضوبة وقعها  
في النفس والأذن .



# تألق الموشح

## ونشأة الزجل

لا ريب في أن تعدد الأوزان واختلاف القوافي ، والاعتماد على الألحان ، والضرب على الآلات ، والجنوح إلى المعاني الطريفة والأفكار الغريبة ، كل ذلك كان السبيل إلى أداء الغرض الذي ترمي إليه الموشحات ، من اشاعة الطرب في النفوس وإدخال اللذة إلى القلوب ، وهذا سر رواج فن التوشيح في الاندلس ، بلد الهوى اللعوب ، والنعمة الوارفة ، ومنه انتقل إلى بلاد المغرب ، وعنها أخذ المشرق هذا الفن البديع ، ولكنه لم يلحق رجال الاندلس السابقين إليه ، وليس معنى هذا ان المشرق لم يجلب في هذا المضمار ، ولا كان لشعرائه من التجويد فيه نصيب ، وهذا ابن سناء الملك المصري في دار الطراز ، يعقب على موشحات الاندلسيين بموشحات من نظمه ، وفيها ما هو من الغرر في هذا الفن ، فكأنما كان يتحدث المتقدمين بما جاء به ، رغم إظهاره للتواضع في مقدمة

كتابه ، واعتذاره بانه لم يأخذ هذا الفن من منبعه ، ويقول  
ابن خلدون عن إحدى موشحات ابن سناء الملك ، انها اشتهرت  
شرقاً وغرباً ، وهي التي يقول في مطلعها تمهيداً :

يا حبيبي ارفع حجاب النور عن  
نظر المسك على الكافور في

العتار  
جلنار

ثم يبدأ بالأقوال والآيات فيقول :

كلبي . يا سحب تيجان الرنى بالحلى

واجهلي . سوارها منعطف الجدول

يا سما . فيك وفي الأرض نجوم وما

كلام . أخفيت نجماً أظهرت انجماً

وهي ما . تهطل الا بالكلى والدماء

فاهطلي . على قطوف الكرم كي تتلي

وانقلي . للدن طعم الشهد والقو قلى

تنقد . كالكوكب الذري للمرتصد

يعتقد . فيها المجوسي بما يعتقد

فانقد . يا ساقى الراح بها واعتمد

وامل لي . حق تراني عنك في معزل

قليل . فالراح كالعشق ان يزد يقتل

لا اليم . في شرب صهبا وفي عشق ريم  
قالنعم عيش جديد ومدام قديم  
لا اهييم . الا بهذين فقم يا نديم  
واجل لي . من أكوس خبرت من فوق  
الدلي . من نكهة العنبر والمسدل

( المقدمة ٤٨ ، والمستطرف ٢٧٨/٢ وازهار الرياض ٢١٦/٢ )

وهكذا نجد فن التوشيح ينتقل من المغرب الى المشرق  
ويخرج من أفق المغنيين وأهل اللهو والطرب ، إلى آفاق  
رجال العلم وشيوخ الأدب ، ثم يستفيض بين الناس ، ويخدر  
إلى العامية بعد ان كان يأخذ منها الطرفة والملحة ، وإذا هو  
شيء جديد ، وفن عابي اسمه ( الزجل ) .

يقول ابن خلدون : المقدمة ٤٨ ، والازهار ٢١٧/٢

« ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور  
لسلاسته ، وتنميق كلامه ، وترصيع أجزائه ، نسجت العامة  
من أهل الأندلس على منواله ، ونظموا في طريقته بلغتهم  
الحضرية ، من غير أن يلتزموا فيها اعرابا ، واستحدثوا فنا

سموه ( الزجل ) والتزموا النظم فيه على منحبيهم الى هذا العهد ،  
فجاءوا فيه بالغرائب ، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة .  
فالموشحات إذن هي التي أغرت العامة بان ينسجوا على منوالها ،  
ولكن بطريقتهم الخاصة ، فأدى الأمر إلى الانحدار باللغة ؛  
ومن أجل ذلك قال بعضهم عن فن الموشح : إنه كان ذا أثر  
سيء في الأدب .

والحقيقة ان فن الموشحات لم يكن صاحب الأثر  
السيء في الأدب ، لأن الشعب العربي نفسه ، كان يسير نحو  
العجمة ، بسبب كثرة الاختلاط والامتزاج بالاعاجم في المغرب  
والمشرق ، وكان العلماء يجأرون بالشكوى من استفحال العجمة ،  
وكان ( الزجل ) وغيره صورة عن الطبائع الشاعرة التي لا تستطيع  
الانصاح عن شعورها بالكلام الفصيح ، فمن غير الحق ان  
نحمل فن التوشيح جريرة المبالغة في الانحدار الى هاوية العجمة ،  
لان فن التوشيح نفسه سقط في هذه الهوة حين قالوا بوجوب

تضمنه الكلام العامي والسوفي ، وجوب تأييد نفسه عن القواعد المرعية في صحة الكلام .

وإذا لم يكن الموشح مظهرًا من الانحدار في الشعر ، فهو ليس مظهرًا لاسمى ما بلغه الشعر من الرقي أيضًا ، لأن الروائع التي خلفها المخلدون في الأدب كأبي تمام والبحتري وأبي الطيب ، وغيرهم كثير ، ليست في حكم التقدير والاعتبار بأقل من الموشح ، وعندنا أنها أروع وأبداع وأبرع .

وهنا لا بد من الاقرار بأن الموشح ثمرة من ثمرات الفكر الشاعر ، والعاطفة المتوقدة ، وصورة من صور الأدب ، ومظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية ، ومن الجور على أنفسنا وعلى الأدب أن نقرر أن الشعر ارتقى صعدًا ، أو انحدر صديقًا ، فكان الموشح ؛ انه فن من فنون الشعر ، لم يحاول أن يقهر القصيدة العربية فيقضيها لتبقى له مظاهر الابداع ، ولا حاولت القصيدة أن تفنيه لتظل خالدة وحدها .

لقد سارت القصيدة العربية باوزانها وأغراضها الى يوم الناس

هذا، على ما يعرف عنها، ولكن نبت على جذعها فرع تمهده من تعهد، وأطعمت بما أطعمت فكانت له ثمرة غير الأصل، فيها لذة ومتمعة، ولها من الأثم الغذاء والمستند، ولكنها غير الثمرة الأصلية على كل حال، طعاماً وشكلاً ولوناً.

وقد استطاب الناس هذه الثمرة الجديدة في الأدب والغناء وأولعوا بها، واحتفظوا بروائعها، وما يزال الناس في المشرق والمغرب العربيين يذكرون (الموشحات الأندلسية) و (النوبات الأندلسية) كما تذكر الروائع من موسيقى الغرب وآدابه، ولعل تعلق الناس بهذا اللون من الأدب والغناء، يرجع إلى رسيس الحنين إلى الأندلس، وتهف القلوب للمجد الضائع، والفردوس المفقود؛ هذا بالإضافة إلى ما في نظم الموشحات وما في ألحانها من عذوبة وروعة وإلماً فلم لا تتردد كلمة (الأندلس) حتى يشعر العربي والمسلم بحج من السحر الأخاذ والعميق الكريم، لم يحرصون على أن يحتفظوا بهذه الصفة (الأندلسية) لطائفة من الأغاني والألحان حين يقولون (نوبة أو موشح أندلسية)

وَلَمْ يَطْلُقْ عَلَيْهَا الْمَغْرِبَ الْعَرَبِيَّ إِلَى الْيَوْمِ هَذَا الْأَسْمَ (كَلَامُ غِرْنَاطَةَ) (١)  
لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَى جَانِبِ الْمَتْعَةِ الْفَنِيَّةِ ، ذِكْرِي نَفْسِيَّةً تَكْمُنُ فِي  
أَعْمَاقِ النُّفُوسِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَسْلَمَةِ ؟

ان فن الموشح الذي كان صنو الغناء، والذي ازدهر بازدهار  
الموسيقى العربية منذ حوالي ثمانمائة عام، استطاع أن يحمل في  
كيانه الخاص، عنصر الخلود والروعة، فأعجب الأفكار، وأطرب  
النفوس، وخلق الأفتدة، وتناقلته الأيام كاحسن ما تناقل  
من الارث الحبيب .

---

( ١ ) المستشرق هنري بيردس في كتابه ( الشعر الاندلسي ) بالفرنسية ص ٢٩٢

# السابقون الى التوشيح

رأيت أن العبقرية الاولى التي تفتحت عن فن الموشح ، كانت عبقرية أندلسية خالصة ، غرست للناس غرساً تمهيدته الألمان ، وسهرت عليه الأهواء ، فما وزكا ، وآتى أكله يانماً شهياً .

وقد زعم قوم ان السابق الى الموشح شاعر عباسي مشهور هو ابن المعتز ( المتوفى سنة ٢٩٦ ) ونسبوا اليه الموشح المعروف :  
أيها الساقى إليك المشكى      قد دعوتك وإن لم تسمع  
والصحيح الثابت أن هذا الموشح أندلسي ، نسبة صاحب طبقات الأطباء إلى الحفير أبي بكر بن زُهْر<sup>(١)</sup> الوشاح المشهور . أضف إلى هذا أننا لا نعرف ابن المعتز وشاحاً ، او ممارساً لهذه الصنعة الشعرية الجديدة في جميع التراجم التي تحدثت عنه

---

(١) ورد في مقدمة ابن خلدون اسم ( زُهْر ) مصحفاً هكذا ( زُهَيْر ) وهو خطأ مطبعي ، ووقع ذلك ايضاً في كتاب العذارى المائسات في الأزجال والموشحات ، لجامعة فيليب قعدان الحازن .

ولا يضم ديوانه من الموشحات غير ذلك الموشح ، مع أنه كان صاحب لهُو وطرب ومتمعة ، والموشحات تناسب من كان في طباعه وأخلاقه ، فلو كان المخترع الأول للموشحات ، أو كان له من هذا الفن نصيب ، لوجد في مجاله الرحب انطلاقاً لعواطفه وشاعريته وأهوائه ؛ هذا إلى ان مؤرخي الأدب القدامى يذكرون عن ابن سناء الملك ، المتوفى في أوائل القرن السابع ، أنه أول من أدخل هذا الفن إلى المشرق ، وبذلك يظل فضل السبق إلى الموشحات مقصوراً على الأندلسيين ؛ وقد ذهب ابن بسام في ذخيرته ( ١/٢ ) وغيره من الباحثين إلى أن أول من وضع أوزان هذه الموشحات في أفق الأندلس ، واخترع طريقتها في نهاية القرن الثالث هو محمد بن محمود القبيري الضرب من مدينة قبيرة في الأندلس ( او هو محمد بن محمود ... كما في أزهار الرياض ٢٥٢/٢ وغيره )

وقالوا إنه كان يصنعها على أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على الأعراب المبهمة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والمعجمي (٤)

ويسميه المركب ( أي كلمة الخرجة ) ويضع عليه الموشحة دون  
تضمن لها ولا اغصان ( القنطرة ١/٢ )

وذكر ابن خلدون ان المخترع لهذا الفن في جزيرة الاندلس  
مقرم بن معاني القبري ( لا مقدم بن معافر الفريري كما ورد في  
المقدمة مصحفاً ومحرفاً ، وعنه نقل بعض الأدباء ) وهو من شعراء  
الأمير عبدالله بن محمد المرواني الذي امتد حكمه من ٢٧٥ الى ٣٠٠ هـ  
وعن مقدم هذا أخذ ابن عبيد بن عمير صاحب كتاب ( المقدم ) ولم  
يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما ، فكان  
اول من برع في هذا الشأن بعدها عبادة القزاز ، شاعر المعتصم  
ابن صمادح صاحب المربة ، وقد ذكر الأعلام البطليوسي انه سمع  
ابا بكر بن زهر يقول : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز »  
( المقدمة ٥٤٢ و ازهار الرباض ٢٠٧/٢ )

وكذلك حكى الكاتب ابو الحسن علي بن سعيد العنسي في  
كتابه « المقتطف من أزهار الطريف » ان الحجارى ذكر  
في كتابه « المسهب في غرائب المغرب » ان المخترع للموشحات

بجزيرة الأندلس هو المقرم بن معافى القبري من شعراء الامير  
عبدالله المرواني ، وأخذ عنه ابو عمر بن عبد ربه صاحب (العقد)  
ثم غلبها عليها المتأخرون ، وأول من برع فيها عبادة القزّاز  
شاعر المعتصم صاحب المرسية . ( ازهار الرياض ٢/٢٥٣ )

وقال ابن بسام في الذخيرة ( ٢/٢ ) « وقيل إن ابن  
عبد ربه صاحب العقد اول من سبق الى هذا النوع من  
الموشحات عندنا ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان  
اول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز » ثم نشأ ابو بكر  
عبادة بن دار السمار ( المتوفى سنة ٤٢١ هـ ) ، فكملت على يديها  
الصنعة الجديدة ، ولم يظهر للسابقين الأولين ذكر مع المحدثين .  
ومن هنا يتبين لك اضطراب القول في اول مخترع لهذا  
الفن ، شأن كل جديد من الامور ، وان محمد بن حمود  
( او محمود ) القبري ، او المقدم بن معافى القبري ، كانا السابقين  
وتبهما ابن عبد ربه ثم جاء المجودون من بعد ذلك .

فيمكن ان يقال اذن إن القرن الثالث الهجري هو اول

عهد ظهرت فيه الموشحات الابتدائية التي لم يستقم أمرها ،  
ولم ترسخ دعائها ؛ وان القرن الرابع الهجري الذي بلغ فيه  
فن الغناء أوجه وغاية مجده ، هو العهد الذي ازدهرت فيه  
الموشحات الكاملة ، وان الوشاحين الذين جاءوا قبل القرن الرابع  
لم يبلغوا مبلغ المجودين في ذلك العصر الذهبي للموشح ، والسرُّ  
في ذلك اعتماد الموشح على الأنغام والايقاع وشد الأوتار ،  
وما يلائم ذلك من حياة وادعة نشد المتعة والطرب ، مما تهيأ  
كاملًا حوالى القرن الرابع .

وعلى هذا فيجب أن نلتبس التجويد في الموشحات منذ القرن  
الرابع الهجري وما يليه ، على أيدي القزاز وابن ماء السماء وغيرها  
حتى إذا جاء القرن السادس الهجري وجدنا كتاباً يؤلفه ابن سناء  
الملك ويسميه دار الطراز يتحدث فيه عن صنعة الموشح ، وينقل  
الينا فيه كثيراً من الموشحات القديمة ، والموشحات التي نظمها  
هو نفسه ؛ وقد نشر هذا الكتاب الدكتور جودة الركابي بعوني  
به عناية كبيرة ، فوقع في نحو خمسين ومائة صحيفة من القطع

الوسط والحرف الدقيق ، ويتألف في الأصل من مقدمة للمؤلف تحدث فيها عن حد الموشحات ، وقواعد عروضها ، وما اصطلح عليه فيها ، وضرب لذلك الامثال ؛ ومن قسمين في الأول منها بعض موشحات الاندلسيين والمغاربة ، وهي التي أخذ منها الأمثلة على القواعد المذكورة في المقدمة ، ويبلغ عددها اربعة وثلاثين موشحاً .

وفي القسم الثاني موشحات ابن سناء الملك نفسه ، مرتبة على نسق الموشحات المذكورة في القسم الاول ، ويبلغ عددها خمسة وثلاثين موشحاً .

ولعل مقدمة ابن سناء الملك أهم ما في الكتاب ، لأنه شرح فيها النظرية الفنية في عمل الموشحات ، والقواعد المرعية في هذا الفن ، ويكون بهذا أول من قام بتحديد اصول الموشح بصورة واضحة بيّنة ، وان كان الذين سبقوه الى الكلام على الموشحات قد أشاروا بعض الاشارات الى تلك الاصول ،

الا ان الوشاحين الاندلسيين لم يذكروا لنا بصورة جلية الاسس التي يجب أن يقوم عليها الموشح .

وتحدث المؤلف عن أوزان الموشحات واغراضها وعن تسمية الكتاب باسم ( دار الطراز ) وقد كان ينبغي أن يسميه بغير هذا ، كقانون الموشحات أو توشية التوشيح أو عقد الموشح أو غيره ، ولكنه لم يجد أشمل وأكمل من لفظ ( دار الطراز ) لأن معنى ( الطراز ) هو أجود الثياب المعلمة المطرزة التي تعمل للسلطان ، ولأن معنى ( الموشح ) هو الثوب الموشى المطرز وعلى هذا تكون ( دار الطراز ) هي الدار التي يعمل فيها حريري الموشحات ومذهبها وتحفها وطرفها . فالكتاب هو تلك الدار وان لم يكن الدار فهو الجار ، كما يقول المؤلف .

ويعتذر — بأخلاق العالم المتواضع — ان كان في موشحاته ما لا يبلغ مبلغ الموشحات الاندلسية الفاتحة ، لانه لم يولد في الاندلس ، ولا نشأ في المغرب ، ولا سكن اشبيلية ، ولا ارسى على صرسيية ، ولا عبر على مكناسة ، ولا سمع الأرنغ ، ولا لحق دولة المعتمد

وابن صمدح ، ولا اتي كبار الوشاحين أمثال الأعمى وابن بقي  
وعبادة والحصري ، ولا أخذ عن شيخ متقدم في هذا العلم ،  
ولا وقع اليه مصنف في هذا الفن ؛ ثم اورد الموشحات المختارة  
واتبعها بموشحاته التي صنعها بنفسه .

والذي نلاحظه على ابن سناء الملك انه كان في بعض المواضع  
بعيداً عن الوضوح والطبع والسلاسة ، متأثراً بأسلوب عصره من  
حيث كثرة التائق في المفردات والسجع ؛

وشيء آخر هو انه لم ينسب الموشحات التي أوردتها الى  
أصحابها ، وهي من أفضل ما قيل في هذا الفن من قبل ، ومنها  
استمد المؤلف القواعد التي ذكرها كأصول مرعية في التوشيح ؛  
وإهماله هذا لذكر أصحاب الموشحات اهمال لا يُرضي ، وكان  
على صديقنا الناشر أن يتلافاه حين رجع إلى المصادر المتعددة  
اثناء التحقيق والطبع ، وألم بأصحابها ، وقابل بين ما طبع من  
الموشحات وما كتب عنها من قبل ، وبين ما هو في نسخة  
المؤلف التي يحقق فيها ، ولكنني أحسب ذلك شأن كل عمل

انساني يذهل صاحبه عن بعض ما يتعلق به ، رغم العناية الفائقة ؛  
وشيء يسير آخر ، هو ترك الناشر شرح بعض الأفكار الواردة  
في الموشحات ، مما يبدق فهمه على الدارسين ويسهل ايضاحه  
على المدرسين ، وكان من الخير لو استدرك هذا لانه لا يعجزه .  
وشيء ثالث هو ان قليلاً من التشكيل محرف لا تستقيم  
معه بعض الكلمات ، وعسى أن يتلافى الناشر ذلك فيما بعد .  
وأراني بعهداً مقدراً جهد صديقنا الناشر وبحسبه ان يضع  
بين أيدي الناس كتاباً كان مفقوداً هو من أحسن المصادر  
في فن التوشيح ، مطبوعاً أحسن طبع ، معنياً به خير عناية ،  
ثم أن ابن سناء الملك ، وقد أراد أن يسطر بعض الأصول  
والقواعد المرعية في هذا الفن ، لم يتوخ أن يذكر أسماء النابهين  
من الوشاحين في الاندلس ، ولا أن يتوه بشأنهم ، وقد استدرك  
الناشر ذلك ببعض التعريف بأولئك الوشاحين دون الاضافة ، كما  
عرف مؤلف الكتاب ، فاستحق الناشر على صنيعه وتعبه ، الجزيل  
من الثناء .

## عباقرة التوشيح

آلت الأندلس الى العرب الفاتحين سنة اثنين وتسعين للهجرة ، وظلت تحكم من قبل الولاة حتى كان عهد بني أمية الجديد ، حين دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس واستولى عليها سنة تسع وثلاثين ومائة ، واستمر الحكم والخلافة الأمويان في الأندلس حتى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة حيث قام ملك بني حمود ، ثم انقرض سنة ستين وأربعمائة ، وآل الأمر الى ملوك الطوائف في الأندلس ، وتفرق ذلك الملك في جماعات من الموالي والوزراء وكبار العرب والبربر : تغلب بعضهم على بعض ، حتى أعطوا الأتاوة لملوك الفرنجة ، ثم أخذهم من الذل والفوضى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، حين نزل الجزيرة الخضراء سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ولم يزل يستولي على البلاد حتى تم له ما أراد ، وخاطب الخليفة العباسي في بغداد فعمد له على المغرب والأندلس ، واستقر فيها ملك المرابطين ( الملائمين ) حتى توفي سنة خمسمائة ، واستمر المرابطون

في الحكم حتى غلب الموحدون على بلاد المغرب سنة احدى وخمسين  
وخمسمائة ، واستولوا على الأندلس ، وثار الفتن ، وحكم ابن هود ،  
ثم ثار جدني الأحمر وبويح له سنة تسع وعشرين وستمائة ، وظلت  
الأمور في اضطراب ، والعدو يتقدم ويستولي على البلاد ،  
والقوم في نزاع ، يغدر بعضهم ببعض ، ويقتل بعضهم بعضاً ،  
حتى تغاب عدوم على الجزيرة الخضراء وأخذها صلحاً سنة  
ثلاث وأربعين وسبعمائة ، ولم يزل الأمر في الأندلس بين أيدي  
ملوك أصرع ، وقواد تغدر ، وشعب يتحدر ، وزعماء تغامر ،  
حتى تقلص الظل العربي وانكش الإسلام ، فكانت الأندلس غنيمة  
الانحلال ، وضحية الأهواء ، سنة سبع وتسعين وثمانمائة .

وما كان لمثل هذا التاريخ الطويل الحافل ان يوجز في سطور ،  
لولا اننا نريد أن نذكر القارئ الكريم بأطوار الحكم التي  
صرت على الأندلس ، والأزمان التي عاش فيها الوشاحون الذين  
سنتحدث عنهم ، اذ كان من حق الدراسة ان تمثل أزمانهم ، ولو على  
سبيل الإيجاز ، لتتخيل تسلسلهم وتعاقبهم في الفن الذي شرحنا  
أصوله وفروعه ؛ واذا كان من العسر أن نأتي على جميع

الوشاحين : الأندلسيين والمغاربة والمشاركة بالترجمة والاستشهاد ،  
فلا أقل من الإشارة الى بعض المباقرة منهم ، أولي الشهرة والتأثير  
في نشأة هذا الفن وتطوره ؛ وهام أولاء على تسلسل الأزمان <sup>(١)</sup> :

ابن هبيرة

( ٢٤٦ - ٣٢٨ ) هـ ( ٨٦٠ - ٩٤٠ ) م

ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه ، الامام الأديب ،  
وصاحب (العقد) . من أهل قرطبة ، كان جده الأعلى ( سالم )  
مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية .

---

(١) روجعت للتراجم والمنتخبات ، والمدراسة هامة ، مراجع كثيرة أهمها:  
الخطط ، والاسلام والحضارة العربية لكرد علي . تاريخ الأندلس لأشباح  
( الألماني ) . الاوضاع الإسلامية لديونين ( بالفرنسي ) . الشعر الأندلسي  
ليبره س ( بالفرنسي ) . الأعلام للزركلي . مطمح الأنفس وقلائد  
العقيان للفتح بن خاقان . معجم الأديباء لياقوت . يتيمة الدهر للشعالي .  
وفيات الأعيان لابن خلكان . المقدمة لابن خلدون . فوات الوفيات للإصلاح  
الكتبي . نفع الطيب وازهار الرياض للعقري . الذخيرة لابن بدم . الاحاطة  
للسان الدين بن الخطيب . دار الطراز لابن سناء الملك . الشعر في العصر  
الأيوبي ( بالفرنسي ) ومحاضرات في الادب الأندلسي للركاني المستطرف  
للأبشيبي . العقد لابن عبد ربه . الصبح للقلقشندي تقويم الحيمي الدمشقي .  
وكتب الأدب الحديثة في مصر والشام ولبنان للبستاني والحصي والفاخوري وغيرهم

كان ابن عبد ربه شاعراً مشهوراً، وأديباً مذكوراً، وعالمًا  
كثير المحفوظات والاطلاع على أخبار الأدباء، فجمعها في العقد،  
وأبلغه العلم والأدب ما يشتهي من الغنى بعد الفقر، إذ كان في  
العلم ثقة، وفي الأدب حجة، وفي الشعر غاية؛ استطارت  
شهرته في المشرق والمغرب ولقب (بمليح الأندلس)؛ قيل  
إن المتنبي كان في جامع عمرو بن العاص فجاءه أندلسي يريد أن  
يجمع إليه، فقال له المتنبي: أنشدني لمليح الأندلس، فأنشده قول  
ابن عبد ربه:

يا لؤلؤاً يسي العقول انيقا	ورشا بتقطيع القلوب رقيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله	دراً يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه	أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره في رقعة	ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فاستعاد المتنبي الأبيات وقال: «يا ابن عبد ربه، لقد تأتيتك

العراق حبواً» .

ولابن عبد ربه القصائد (المجتمعات)، وهي قصائد ومقاطع

في المواعظ والزهد، تقض بها كل ما قاله في صباح من الغزل.

وكتابه (العقد) من أشهر كتب الأدب ، وله أراجيز في  
في تاريخ الخلفاء الراشدين ، وغيرهم ، وطبع من ديوانه خمس  
قصائد ، وأصيب بالفالج قبل وفاته بأيام .

### يوسف بن هرون الرمادي

(٤٠٣ - ٥٠٠) هـ (١٠١٢ - ٥٠٠) م

ابو عمر يوسف الكندي الرمادي ، نسبةً الى رمادة وهي  
بلدة في المغرب ، كان أصله منها ،  
شاعر أندلسي ، مولده ووفاته في قرطبة ، عالي الطبقة ،  
كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند الخاصة والعامة هناك  
لسلوكة في فنون المنظوم مسالك تنفق عند الجميع ، اذ كان  
يحزن في الشعر ويسهل ، فاجمع القوم على تفضيله .  
كان معاصراً لأبي الطيب المتنبي ، وكان كثير من شيوخ  
الأدب يقولون : « فتح الشعر بكندة وختم بكندة » يعنون  
بذلك امرأ القيس ، والمتنبي والرمادي .

لزم ابا علي القالي صاحب الأملالي حينما قصد الأندلس سنة  
٣٣٠ وأخذ عنه وروى كتابه ( النوادر ) ومدحه بشعر جيد .  
نسب اليه من الشعر في دولة الخلافة ما ألقاه في السجن  
طويلاً ، وأدرك الفتنة فحاض لجنتها ، ولحقته فاقة لزمته وأنهكته  
حتى أهلكته ، وقد عمر طويلاً ، وخلف كثيراً من الشعر ،  
وكتاباً له في ( الطير ) ومن شعره :

بدرٌ بدأ ، يحمل شمساً بدت  
تغرب في فيه ولكنها  
وله :

في اي جارحة اصون معذبي  
ان قلت في بصري فتم مدامي  
وتلات شيبات نزلن بمفرقي  
طلعت ثلاث في نزول ثلاثة  
سامت من التعذيب والتنكيل  
او قلت في كبدي فتم غليلي  
فعلت ان نزولهن رحيلي  
واش ، ووجه مراقب ، وثقيل .

### ابن ماء السماء

( ٤٢٢ - ٠٠٠ ) هـ ( ١٠٣١ - ٠٠٠ ) م

أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن ماء السماء ،  
من ذرية سعد بن عبادة الانصاري ، وقيل له ابن ماء السماء  
لجدّم الاول . كان عبادة رأس الشعراء ، منتجعاً بشعره ، بعيد

الهمة ، وهو الذي أقام عماد الموشحات وهذب ألقاها وأوضاعها  
واشهر بها اشتهاً راجحاً عليه ، فكانها لم تسمع إلا منه .

صاعت له مائة مثقال فاغم عليها وكانت سبب وفاته في مالقة

وله شعر حسن منه قوله :

لا تشكون إذا عثر	ت إلى خليطٍ سوء حالك
فيريك ألواناً من الـ	إذلال لم تخطر ببالك
اياك ان تدري يـ	نك ما يدور على شمالك
واصبر على نوب الزما	ن وان رمت بك في المهالك
والى الذي اغنى واق	نى اضرع وسدنه صلاح حالك

ابن القزاز ( القرن الخامس )

ابو عبدالله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز ،

( وعبادة القزاز أيضاً ) شاعر المعتصم بن صمادح صاحب ( المرية )

المتوفى سنة ٤٨٤ هـ .

من مشهوري الشعراء والأدباء ، وأكثر ما ذكر اسمه وحفظ

نظمه في أوزان الموشحات ، وقد برع في نظمها ، وشهد له

المتقدمون بالتفوق والتقدم ؛ فقال ابو بكر بن زهر : كل

الموشحين عيال على عبادة القزاز ؛ وكان فيما اتفق له من ذلك قوله :

بدرُتيمُ شمسُ ضحى غصنُ نقا مسكُ شم  
ما اتيمُ ما اوضحا ما اورقا ما اتيم  
لاجرمُ مَنْ لِحما قد عشقا قد حريمُ

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمان ملوك الطوائف ، وجاء مصلياً خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة .

### ابو الحسن المصري

( ٤٨٨ - ٥٠٠ ) هـ ( ١٠٩٥ - ٥٠٠ ) م

علي بن عبد الغني الفهمري المُقريء الضرير ، ولد في القيروان وتوفي في طنجة ، قال عنه ابن بسام : « كان بحر براءة ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، طراً على جزيرة الانداس في منتصف المائة الخامسة بعد خراب وطنه من القيروان ؛ فهدأته الملوك وتنافسوا فيه » .

كان ضيق العطن ، يتلفت الى الهجاء تلفت الظمان الى الماء . وكان عالماً بالقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس للقرآن الكريم بسبته وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات نافع ، وديوان

شعر جيد ، ومن أشهر شعره القصيدة السائرة التي عُني بها كثيراً :

يا ليل الصب متى غده      اقيام الساعة موعده  
رقد الشمار فارقه      اسف للبين يردده

وقد عارضها كثير من الشعراء ، فمن القدماء الذين عارضوها

ابو الفضائل القمراوي فقال من قصيدته :

قد ملّ مريضك عودهُ      ورتي لأسيرك حسده  
لم يبق جفاك سوى نفس      زفرات الشوق تصعده

وقد طبعت المعارضات الحديثة في رسالة صغيرة عنوانها

( معارضات يا ليل الصب ) وليس فيها كل المعارضات الحديثة

ولا القديمة .

وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية - ويسمى الاندلسيون

حمص أيضاً - بعث الى أبي الحسن الحصري بخمسمائة دينار

ليحضر اليه من القيروان ، وكان الروم اذ ذاك مسيطرين على

البحر فكتب الى المعتمد :

امرتني بركوب البحر اقطعه      غيري ، لك الخير ، فاخصمه بذالدهاء  
ما انت نوح قنجيني سفينته      ولا المسيح انا أمشي على الماء

ودخل الاندلس بعد ذلك ومدح المعتمد ، ثم توفي في طنجة .

وإبو الحسن هذا ابن خالة إبي إسحق الحصري صاحب  
زهر الآداب المتوفى في القيروان سنة ١٣٠ هـ على رأي  
ابن خلكان ، أو سنة ٤٥٣ هـ على رأي ابن إسحاق .

### ابن يحيى

( ٥٤٠ - ٠٠ ) هـ ( ١١٤٥ - ٠٠ ) م

أبو بكر بن يحيى بن عبدالرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي :  
شاعر ذو روائع في الشعر ، اشتهر في اجادة الموشحات ،  
وتنقل في كثير من البلاد المتأسسا للرزق ، وكان الحرمان الزم  
له من ظله ، حتى وجد من أقطعه جانباً من العيش فمدحه .  
وأنتى عليه المترجمون له ، وعدوه من محاسن دولة المائمين وذكروا  
له كثيراً من جيد الشعر كقوله :

يا افتك الناس الحائظاً وطيبهم      ريقاً مقى كان فيك الصابُ والعسلُ  
في سخن خدك وهي الشمس طالعةٌ      وردٌ يزيدك فيه الراح والحجلُ  
إيمان حبك في قلبي يجدره      من خدك الكتب او من لحظك الرسلُ

وحياة الشعراء في دولة المائمين تأتي بعد من كانوا في عهد

ملوك الطوائف كالقزاز وابن ارفع رأسه ، ويعتبر ابن بقي  
والأهمى التطيبي أسبق من جاء في عهد الملتهمين .

زعموا ان أبا بكر بن زهر قال : ما حسدت قط وشاحاً

على قول الا ابن بقي حين وقع له قوله :

اما ترى احمد في مجده العالي لا يلحق  
اطلعه المغرب فأرنا مثله يا مشرقاً

ومن أجمل ما وقع له من الموشحات قوله :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى ألم الوجد ، فليت ادعني

ايها الناس فؤادي شغيف

وهو من بغي الهوى لا ينصف

كم اداريه ودمعي يكف

ايها الشادن من علائكما بسهام اللحظ قتل السبع

بدر تم تحت ليل اغطس

طالع في غصن بان منتشي

اهيف القد بخد ارقش

ساحر الطرف وكم قد فتكا بقلوب درعت بالاضلع

واثنى يهتز من سكر الصبا

اي رثم رمته فاجتنباً

كقضيبي هزه ربح الصبا

قلت هب لي يا حبيبي وصلكا      واطرح اسباب حجرى وودع .

قال خدي زهره مذقوا فا

جرّد الطرفُ حساماً مرهفا

حذراً منه بالاً يقطعا

ان من رام حناه هلكا      فازل عنك اماني الطمع

ذاب قلبي من هوى ظبي غريره

وجهه في الدجن صبح مستنير

وفؤادي بين كفيه اسير

لم اجد للصبر عنه مسلكا      فانتصاري بانسكاب الادمع

وَيُنْحَلِ إِلَىٰ أَنْ هَذَا الْمَوْشَحُ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي عَارَضَهُ ابْنُ زُهَيْرٍ

فِي مَوْشَحِهِ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَقُولُ فِي مَطْلَعِهِ :

أَيُّهَا السَّاقِي الْبَيْكِ الْمَشْتَكِي      قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

**ابن عيسى التليطلي** ( النصف الاول من القرن السادس )

ابو جعفر بن هريره ، ابوبكر التليطلي ( والتليطلي والطائبي )

الوشاح المشهور ، من شعراء الاندلس في دولة الملمثيين ( المرابطيين )

اوائل القرن السادس للهجرة ، سكن صرسية ومات في مقتبل العمر

وضاع كثير من أخباره ، وبقيت شهرته ، واثار عبقريته ،  
كان كثير الوقوع في الناس ، قيل له مرة : يا أبا بكر ، كم تقع في  
الناس ! فقال : أنا أعمى وهم لا يبرحون حُفَرًا ، فما عذري في  
وقوعي فيهم ، فقال السائل : « والله لا كنت قط حفرة لك »  
وجعل يواليه بره ورفده .

قال عنه الفتح في القلائد : « له ذهن يكشف الغامض الذي  
يخفى ، وجاء بالنادر الذي أعجز ، ونظم أخبار الأئمة المفترقة في  
لغة القريض ، وأسمها أطرب من نغم معبد والغريض ، وكان  
بالأندلس سرًا للأحسان إلا أنه اختصر حين احتُفِر ، واعتُبط  
عندما استُبشِر به واعتُبط . »

وذكر ابن خلدون : ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس  
في اشبيلية ، وكان كل واحد منهم اصطنع موشحةً وتأنق فيها ،  
فتقدم الأعمى التليطلي للانشاد وافتتح موشحته بقوله :

ضحك عن 'جان' . سافر عن بدر . ضاق عنه الزمان . وحواه صدري

آه مما أجدُ شفي ما أجدُ

قام بي وقد باطشُ متد

كما قلت قد قال لي أين قد

واثنى خوط بان . ذامه زر نضر . عابته يدان . للعبا والقطر  
فلما سمع الوشاحون قوله خرّق ابن بقي موشحته ، وتبعه الباقون .

الحكيم ابو بكر بن باجة ( القرن السادس )

صاحب التلاحين المشهورة المعروفة ، ناصر ابن بقي والأعمى  
الطليطي ، وكان مقدماً عند ابن تيفلاوبت صاحب سرقسطة ،  
ألقى ابو بكر ذات يوم على بعض القينات موشحته في المديح  
التي اولها :

جرر الذيل ايما جرر وصل الشكر منك بالشكر  
وختمها بقوله :

عقد الله راية النصر لأمير الملا ابي بكر

فطرب ابن تيفلاوبت وصاح : واطرابه ، وشق ثيابه ، وقال  
ما أحسن ما بدأت به وما ختمت ، وحلف بالإيمان المفاظة الا  
يمشي ابن باجة الى داره الا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء  
العاقبة ، فاحتال بان جعل في نعله ذهباً ومشى عليه .

## ابو بكر بن زهر

( ٥٠٧ - ٥٩٥ ) هـ ( ١١١٣ - ١١٩٩ ) م

ابو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر  
ابن أبي مروان ... بن زهر الايادي الاندلسي الاشبيلي .

كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء ، وحكام وزراء ،  
متقدمون عند الملوك ، وكان ابو بكر متمكناً من شعر العرب ،  
عالي المرتبة ، كثير الأموال ، مشرفاً على جميع أقوال أهل  
الطب ، وله في كتاب جالينوس ( حيلة البرء ) :

( حيلة البرء ) صنفت لعليل      يترجى الحياة او لعليلة

فاذا جاءت المنية قالت      حيلة البرء : ليس في البرء حيلة

وكان يعالج الناس في الطب ، وأوصى ان يكتب

على قبره :

تامل بحقك يا واقفاً      ولاحظ مكانا دفننا اليه

تراب الضريح على وجنتي      كأنني لم امش يوماً عليه

اداوي الانام حذار المنون      وها انا قد صرت رهنا ليه

وانفرد بالتقدم في الموشحات ، في زمانه ، وقد شرقت موشحاته  
وغربت ، وكان جده ابو الملاء زهر وزير الدهر وفيلسوف العصر  
وحكيمه ، وتوفي سنة ٥٢٥ بقرطبة .

وكان عبد الملك قد ارتحل الى الشرق وطبيب زماناً طويلاً ،  
وتولى رئاسة الطب في بغداد ، ثم في مصر ، ثم في القيروان  
وبدأ اهل زمانه .

وكان جد جده محمد بن مروان عالماً حافظاً للادب فقيهاً  
متقناً جواداً .

قيل لابي بكر : لو قيل لك : ما ابداع ما وقع لك في  
التوشيح ؟ فقال : كنت أقول :

ما المواته	من سكره لا يفيق	ياله سكران
من غير خمر	ما للكئيب المشوق	يتدب الاوطان
هل تستعاد	أيامنا بالخليج	ولياينا
او يستفاد	من النسم الأريج	مسك دارينه
وادي يكاد	حسن المكان البهيج	ان يحينا
نهر اطله	دوح عليه انيق	مورق فينان
والماء يجري	وعائم وغريق	من جى الربحان

## ابن سناء الملك

( ٥٥٠ - ٦٠٨ ) هـ ( ١١٥٥ - ١٢١١ ) م

هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر بن سناء الملك ،  
السعدي ؛ ابو القاسم ، ويعرف بالقاضي السعيد ، شاعر ذو ثقافة  
عالية أحلته منصب القضاء كأبيه ، مصري المولد والوفاة .  
كان نبيلاً وافر الفضل ، بارعاً في علوم اللغة والدين ، رحب  
النادي ، جيد الشعر ، بديع الانشاء متقناً فيه ، مكثراً للتأنق  
في الكتابة ، كتب في ديوان الانشاء بمصر مدة ، على سعة  
في العيش ووفرة من الغنى .

وكان ولوعاً بالموشح ، فاستقصى أخباره وأسسها ، وجمع  
طائفة من أحسن ما عرف منه في كتابه ( دار الطراز ) وأودعه  
موشحاته التي نظمها هو نفسه .

وكانت له صلوات أدبية وثيقة بالقاضي الفاضل صاحب  
الطريقة المؤنقة في الكتابة ، وبغيره من أدباء العصر وشعرائه ،  
يطارحهم الشعر ويواصلهم بالأدب .

وكان معجباً بصلاح الدين الايوبي، مدحه مديح ا كبار واحترام .  
له كتاب ( فصوص الفصول ) ( مخطوط ) جمع فيه طائفة  
من إنشاء كتاب عصره ، ولا سيما القاضي الفاضل ، وكتاب  
آخر اسمه ( روح الحيوان ) ( مخطوط ) اختصر فيه كتاب  
الحيوان للجاحظ .

استفاضت شهرته في الشرق والغرب ، وبخاصة في موشحه  
الذي يقول فيه :

(١) يا حبيبي ارفع حجاب النور<sup>١</sup> عن العذار<sup>٢</sup>  
تنظر المسك على الكافور في جلائر

ابراهيم بن سهل

( ٦٠٥ - ٦٤٩ ) هـ ( ١٢٠٨ - ١٢٥١ ) م

من أهل اشبيلية ، شاعر غزل ، كان يهودياً فأسلم وتلقى  
الادب وأجاد في الشعر ، سكن سبته Ceuta في المغرب الاقصى ،  
وغرق مع واليها اذ كانا في زورق انقلب بهما فهلكا .

---

(١) ورد المطلع بدون اداة نداء في بعض المصادر ( حبيبي ارفع . ) ،

ووجود الاداة يناسب وزن البيت الثاني ( تنظر ... ) ولذلك اثبتناها  
كما اثبتنا بعضهم .

له ديوان شعر صغير . ومن أشهر شعره موشحه الذي عارضه الكثير من الشعراء ويبدوّه بقوله :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى	قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما	لعبت ربح الصبا بالقبس
يا بدوراً اشرفت يوم النوى	غرراً تملك في نهج الغرّار
ما لنفسي في الفوى ذنب سوى	منكم الحسن ومن عيني النظر
اجتني الذات مكلوم الجوى	والتذاذي من حبيبي بالفكر
كلما أشكوه وجدي بسما	كالربا بالعارض المتبجس
اذ يقيم القطر فيه ما تما	وهي من بهجتها في عرس
أيها السائل عن جرمي لديه	لي جزاء الذنب وهو المذنب
اخذت شمس الضحى من وجنتيه	مشرقاً للشمس فيه مقرب
ذهب الدمع باشواقى اليه	وله خد بلحظي مذهب

### لسان الدين بن الخطيب

(٧١٣ - ٧٧٦) هـ (١٣١٣ - ١٣٧٤) م

محمد بن عبدالله بن سعيد اللوشي الأصيل ، وزير مؤرخ ، وأديب نبيل ؛ ولد بقرناطة ، وامتوزره سلطاتها ابو الحجاج يوسف سنة ٧٣٣ ثم ابنه السلطان محمد من بعده ؛ نسبه بعض حامديه

الى مذهب الفلاسفة ورمي بالزندقة، وأوغر عليه قلب السلطان  
محمد بن يوسف فاعنقله بغاس، فطرقوا عليه السجن ليلا وخنقوه  
كان يلقب بذي العُمرين لكثرة أرقه واشتغاله بالتصنيف  
في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره. وهو كثير المؤلفات، وتقع  
في نحو ستين كتاباً منها الاحاطة في تاريخ غرناطة، والاعلام،  
فيمن بويغ قبل الاحتلام، من ملوك الاسلام.

وله شعر جيد، ومنه موشحه الذي عارض فيه موشع

ابن سهل فقال في مستهله :

جارك الغيث اذا الغيث همي      يا زمان الوصل بالاندلس  
لم يكن وصلك إلا حلماً      في الكرى او خلسة الختلس

اذ يقود الدهر اشبات المنى      تنقل الخطو على ما يرسمُ  
زمرأ بين قرادي وُمنى      مثلها يدعو الوفودَ الموسم  
والحيا قد جلال الروض سى      فتغور الزهر منه تبسم

وروى الذممان عن ماء السما      كيف يروي مالك عن أنس  
فكساء الحسن ثوباً معلماً      يزدهي منه باهى ملبس

في ليالٍ كنتُ سرّ الهوى      بالدجى لولا شمس الغرورِ  
مأل نجم الكأش فيها وهوى      مستقيم السير سعد الأثر  
وطرّاً ما فيه عيب سوى      انه مر كلمح البصر

### ابن زمرّك

(٧٣٣ - ٧٩١) هـ (١٣٣٣ - ١٣٨٩) م

ابو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي ، ولد في غرناطة ونشأ بها ، وهو من مفاخرها ، واسع المعرفة غزير المادة حاد الذكاء ظاهر الذيل ، جيد الكتابة والشعر ، كلف بالمعاني البديعة والالفاظ الصقيلة ، أحده الساطان ابن الأحمر محلاً ربيعاً وخصته بكتابة سره بعد لسان الدين بن الخطيب ، وقد أثنى عليه هذا في « الاحاطة » .

مات ابن زمرّك قتيلاً بعد سنة تسعين وسبعمائة

وهو كثير الموشحات من ذلك قوله :

نواسم البستان      تثر سلك الزهر  
والظل في الأغصان      ينظمه بالجوهر

وراية الاصباح	اضاء منها المشرق
تنشرها الارواح	فلا تزال تخفق
والزهر زهر فاح	لها عيون ترمق
فايفظ الندمان	تبصر ما لم يبصر
جواهر الشهبان	قد عرضت للمشتري

وينتهي موشحه بمخاطبة ممدوحه ويقول :

خذها بلا دعوى	ترعى على الروض الوسيم
جاءت كما تهوى	ارق من لادن النسيم
قد طارحت شكوى	من قال في الليل البهيم :
« ليل الهوى يقظان »	والحبيب ترب السهر »
« والصبر لي خوان »	والنوم من عيني بري »

وهذا القفل الاخير ( ليل الهوى يقظان ) هو مطلع موشح

لابن سهل ، استعاره ابن زمرك فجعله ( خرجة ) لموشحته اوردها

بعد كلمة ( قال ) ، وفق ما جرت به العادة في خرجات الموشحات .

# حول الموشحات

للباحثين في الموشحات آراء هي صفوة ما يذهبون اليه من حكم وتقدير ، لذلك كان من الخير أن نستعرض شيئاً من هذه الأحكام ، غير متناسين ما يمكن أن يكون فيها من اختلاف ، مردّه الى الزاوية التي ينظر منها القائل ، والاتجاه الذي يأخذ به نفسه ، فرب معجب يصدر حكمه عن قلبه ، وناقداً يزن الأمور بميزان الواقع ، فيختلفان أفقاً ونظراً ؛ على أن كل اختلاف في هذا السبيل ، شهى مرغوب فيه ، ما أمتع البصر بمافق جديد ، وأمد الفكر برأي قويم .

فمن ذلك ما تحدث به المرحوم الاستاذ محمد كرد علي في كتابه « الاسلام والحضارة العربية » (١/٢٣٠) عن الشعر العربي والفنون الجميلة في الاندلس ، فذكر ان العرب « لما انتقلوا الى الاندلس جاء شعرهم خلافاً عما فيه ونصويره وتأثيره » وان « اللانداسيين فضل

السبق في اختراع الموشحات التي تهيج النفوس الخاملة ، وتشرّبها  
القلوب اسلاستها ، كأن سماء الاندلس أوحى الى قرائحهم بما لم توحه  
سماء الشرق ، وتجارى غواة القريض في نظم هذه الموشحات  
وترديدها الى الغاية ، واستظرفها الناس بجملة لسهولة تناولها وقرب  
طريقتها . وقد كثرت اختراعاتهم في المعاني ، والبسوا الشعر  
ديباجة مستملحة كسرت قليلاً من قيوده ، وألبسته حلة مدنية  
كاللؤلؤ العراقية والشامية أيام رواج الشعر في بعض ادوارها الراقية «  
ونقل عن شاعر الاسبان فرنسيسكو فيلاسباسا انه « لم تنهياً  
للشعر العربي في عامة الاقطار التي اكتسحتها للعرب تربة اصالح  
من تربة الاندلس ، ولا زها في بلد من البلدان زهوته في  
هذا البلد » .

وقال « ان روح الفروسية التي سادت القرون الوسطى ،  
وأحالت همجية الحروب الى مداعبات على ظهور الخيل في ميادين  
الالعب ، وانتجت من الحب أدباً عالياً ، ومن المرأة صنماً

معبوداً لتهي روح خلقها الشعر العربي وحملها الى العالم على اجنحة  
موشحاته ، فعم العالم « الأدب المنمق » الذي سبق الرومانطيقية  
ببضعة أجيال ؛ ومنه كان للشعر العربي هذا التأثير في العالم ،  
فأحر به أن يكون في اسبانيا أشد بلوغاً منه في غيرها .

ثم يقول : « وليست جميع القصائد المجموعة في كتب الاغاني  
الاسبانية لمختلف الشعراء سوى التحال ما في الدواوين الشرقية  
من شعر ، فانك ترى ناظمها يرافقون في أناشيدهم الايقاع  
المتكرر في الحان الرباب ... وينتهي الى ان التأثير بالأدب العربي  
البادي في آداب اللغة الاسبانية ظاهر في أناشيدهم الشعبية التي  
تمثل نفس أمته الشاعرة » ...

ويتحدث الأستاذ كرد علي عن النهضة الموسيقية الجبارة التي  
كانت في الاندلس ويذكر « انه كان لهم آلات من الطرب والوان  
من الملاهي كادوا يتفردون بها ... ودام الغناء واللهو والاونار  
والرقص في الاندلس الى عهد خروج العرب منها ، على حصة  
موفورة ، فكان من الطبيعي أن يأخذ الافرنج عنهم ، ولا يزال الى

اليوم غناء الاسبانيين يشبه غناء العرب ، وموسيقاهم كأنها  
موسيقاهم ، وكذلك رقصهم و كثير من أدوات لهوهم ، وهكذا  
الحال في اسبانيا والبرتغال اليوم بل في جمهوريات اسبانيا الجنوبية  
ولاسيما أهل الارجننتين والبرازيل بفضل زرياب الذي رحل  
الى المشرق وعنه أخذ الاندلسيون وجيرانهم ... » ( ٢٣٧ )

ويشير الاستاذ كرد علي في ( خطط الشام ) الى زرياب مولى  
المهدي ، والى مقدمه على خلفاء بني أمية في الاندلس ، وانه كان  
يركب في مائة غلام ؛ ويذكر عن آلة الطرب ( الأثرغن ) التي  
تقدمت الاشارة اليها في هذا الكتاب ، انها غير الارغن الذي  
يعرفه الافرنج لمهدنا ، ونقل عن الخوارزمي : « ان الارغانون آلة  
لليونانيين والروم ، تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس ،  
يضم بعضها الى بعض ، ويركّب على رأس الزق الاوسط زق  
كبير ، ثم يركب على هذا الزق انابيب صفر لها قصب على  
نسب معلومة ، يخرج منها أصوات طبيعية مطربة مشجية على  
ما يريد المستعمل » ( ١٠٦/٤ - ١٠٧ )

ويذكر الدكتور شوقي ضيف في كتابه ( الفن ومذاهبه في الشعر العربي ) ( ٢٧١ - ٢٧٥ ) : « ان الاندلسيين لم يستطيعوا ان يحدثوا مذهباً فنياً جديداً في الشعر العربي ، بل جمدوا عند التقليد والصوغ على نماذج الشرق من غير تعمق ، ويقرر ان صنيعهم اقتصر على الشكل ، وان الغناء والموشحات والازجال هي الشيء الطريف في شعرهم ، ويرى ان فن التوشيح لا يعتد به كمذهب جديد في الشعر العربي ، وانما هو شيء يتجاوب والبيئة وما كان فيها من ترف ولذة ونعيم ، فأدبهم في الموشحات وغيرها لم يحدث ثورة على الأوضاع القديمة في الصياغة الفنية ، لا في صياغة التفكير ولا في صياغة الشعور ، لأن الاندلس او شعراءها على الأقل ، لم تعرف التفكير العميق الدقيق ؛ وينتهي الى أن الموشحات والازجال استمدت دلالاتها وصياغاتها من معين المشرق ومذاهبه الفنية » .

وفي رأي أحد المؤلفين القدامى ( في وفيات الأعيان ) :

« ان الموشحات زبدة الشعر ونخبته ، وخالصة جوهره وصفوته ، وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على

أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق .  
ويرى الأستاذ خليل الهنداوي ( في نصوصه المدروسة ) :  
« ان الموشحات لم تخلق لتغذية الذهن وارضاء التفكير ، وانما  
خلقت لاثارة الخيال والعاطفة ، وإبهاج النفس والاذن والعين ،  
وهي جديرة بان تحمل معها طابع الأدب الاندلسي  
والبيئة الأندلسية » .

ويورد الأستاذ نعيم الحمصي ( في رائده ) عن أحد المستشرقين :  
« ان الموشحات الاندلسية تنفح العالم العربي بعطر شذي من تلك  
الأرض الاندلسية التي لبثت زمناً طويلاً محافظة على الروح الشامية »  
ويورد قول غيره : « ان أسلوب الموشحات هو ابن ليالي  
الهوى وابن الكؤوس وابن الطبيعة وابن الموسيقى ، ولولا نزوعه  
الى التكلف البغيض ، ولولا معاطاة غير الشعراء له ، لكان جديراً  
به ان يكون المثل الأعلى للشعر الصحيح » .

ويقول ابن بسام في ( ذخيرته ) : « وهي ( اي الموشحات ) أوزان  
أكثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل أو النسيب ، تُشَقُّ

على سماعها مصونات الجيوب ، بل القلوب «  
ويذهب المستشرق الافرنسي ديمونين الى « ان الشعر العربي  
في اسبانيا وجد تربة صالحة جداً للازدهار ، واكتسب فيها  
عفوية فياضة ، وتذوقاً للطبيعة والحياة » .

وذكر يوسف أشباخ المؤرخ الألماني في ( تاريخ الاندلس  
في عهد المرابطين والموحدين ) : « ان المرابطين كانوا يطاردون  
العلماء الذين يخرفون عن معتقداتهم .. ويعملون على تحطيم  
الروح الشعرية الاندلسية التي كانت تجد متعتها في قريض  
الفروسية والقصص المغرق ... ولم تطل سيادتهم أكثر من  
نصف قرن ، كما ان اواخر ملوكهم قد غمروا بسحر التمدن  
دون أن يشعروا ، فكفوا عن مطاردة الحضارة والثقافة العرييتين ،  
ومالوا الى مصادقة الشعراء والعلماء ولا سيما اوائك الذين شادوا  
في نظمهم ونثرهم بدمج حكومتهم وغزواتهم . . . وقد أفادت  
سيادة المرابطين روح الشعب الاندلسي خات مكان الفروسية  
الهائجة ، والملاهي الناعمة ، والدعابة المصطنعة ، والفتور النسوي :

روحٌ حربيةٌ قوية ، واعتدال متقشف ، وذكاء فطري ، ورجولة  
متينة .

ولم يبدِ الموحدون من الغلو في مطاردة الثقافة مثلما ابداه  
أسلافهم .. وقد شجعوا كثيراً من العلوم ، وغمرت الشعب موجة  
من الرخاء ، وهو من العناصر المشجعة للتقدم العقلي في الشعوب «  
(٢٥١/٢) .



## الخاتمة

وبعدُ فقد بسطت دونك صفحة من الأدب والعلم ، توخيت فيها التقريب والفائدة ، ووضعت خلفها فكرة شعرت بها كما شعرتُ ، وعرفت كما عرفت ، وهي ان هذا الضرب من الأدب صورة عن ماضٍ حبيب ، ومرآة لزمنٍ معسول ، كان أيام اتساع الرقعة ، وامتداد الملك ، واثتلاق الحضارة .

كان أيام حيرة الاقوام الباقية ، وضلة الافهام التائهة ، وحلقة الاوطان المتعادية .

ولكن الدهر دول ، فما ضرب من ضرب به ، حتى ضاع المجد من أيدي أصحابه ، واستبدل أهل الحيرة بحالهم خيراً ، فاذا نحن في الضلة والحيرة ، وادام في اليقظة والبناء .

ذلك اننا استبدلنا بالجدهو ، وتبدلوا باللهو جدا ؛ واننا بتنا أميل الى الطرب واللذة ، واصبحوا أمبق الى التعب والانتاج ؛ وكذلك تتغير الاحوال بتغير الاخلاق ، وتضيع الممالك بامتهان القيم ، وتزول الامجاد في الانغماس بالاهواء .

فليكن اذن عملنا في سبيل الحق واليقظة والصدق ، ولننتفع  
بالدروس التي سطرها لنا التاريخ ، وليد كثرنا البحث اندي كنا  
فيه ، بما كان لنا في غابر الدهر ، وكيف غاض بين سمع الارض  
وبصرها ، عسى ان نعتبر في سبيل البناء الجديد .

---

وبعد ، فربما وقع في الطبع او الصنع بعض ما يمكن أن يقع ،  
وهو مما لا يبرأ منه الجهد ، ولا يعرى منه الخلق ، ولا  
يخفى على الاريب .